DOI: https://doi.org/10.54809/jkss.vi11.364
گۆڤاری کوردستانیی بۆ لێکۆڵینەوەی ستراتیجیی
Copyright © Open access article with CC BY-NC-ND 4.0

فِي طَبِيعَةِ اللُّغَةِ العربية وَوَظِيفَتِهَا وَمَنْهَجِ العُلماء القُدامى فِي مُعَالَجَاتِهِمْ لَهَا

الدكتور محمد صالح امين اغا
zardahal@yahoo.com
كلية الدراسات الاسلامية- جامعة السليمانية- اقليم كردستان

ملخص البحث:

العربية لغة أمة من أمم هذه الأرض، إنها لغة العرب، فهي تؤدي مهام لغة أمتها منذ النشأة الأولى، وأصبحت لغة العالمين إيماناً واعتقاداً، فتكلفت بالأداء الإسلامي خير أداء عقيدةً وشريعةً. فمن أجل هذا، شرع اللغويون القدامى عند فجر التشريع والتقنين اللغويَيْنِ بجمع العربية وغربلتها، للحصول على أفصح اللغات وأنقاها، واشترطوا للفصاحة اللغوية شرطين وهما: التبدّي العميق، والقرب من قبيلة قريش، وذلك تجنُّباً لكل لفظة يُشمُّ منها رائحة العُجمة والدَّخيل. فأقبلوا على لغات قريش، وقيس، وتميم، وأسد، وهذيل، وبعض كنانة، وبعض الطائيين، وتركوا لغات ثماني عشرة قبيلة وجِهَةً بحججٍ واهيةٍ: من مثل: قرب هؤلاء من الرومان، والفرس، والهند، والنبط، وغيرها،وهم: لخم، وخزام، وقضاعة، وغسان، وأياد، وتغلب، والنمر، وبكر، وعبدالقيس، وأزد عُمان، وأهل اليمن، وبني حنيفة، وسكان اليمامة، وثقيف، وسكان الطائف، وحاضرة الحجاز. فبتركهم لغات تلك القبائل العربية الأصيلة، لم يُدركوا، أو ناسوا، أو تناسَوا، أن في القرآن الكريم عشرات وعشرات من كلمات غير العربية، وقد أَلَّف العلماء في ذلك كتباً أمثال: الجواليقي ٤٦٥هـ ـ ٥٤٠هـ ، والسيوطي ٩١١هـ وغيرهما. وحتى إن لغة قريش نفسها تتضمن عشرات الألفاظ غير العربية. من هنا، يتضمن هذا البحث أن لابُدَّ من قراءة جديدة، وبناء تقنين جديد للعربية، بحيث يشتمل على جميع لغات العرب، حتى يُملأ ذلك الفراغ اللغوي الذي حدث، ولا تخسر أمة العرب والعربية نفسها، من مخزونها اللغوي الثَّرّ على طول الزمان والمكان.

الكلمات المفتاحية: لغة العرب، لغة قريش، الفصاحة اللغوية، الفراغ اللغوى، الفاظ اعجمية

Recieved: 28/6/2023
Accepted: 30/10/2023

E-ISSN: 2790525-X
P-ISSN: 27905268

المقدمة:

إن العربية ليست كغيرها من لغات أهل الأرض قاطبة، منذ أربعة عشر قرناً ونيِّفاً من الزمان، وإلى الآن، ولاتزال، وإلى أن يرث الله الأرضَ وَمَنْ عليها ... لأن هذه اللغة - فضلاً عن كونها لغة أُمة واعية- فإنها أصبحت لغة الشوط الأخير والختام لدين الله إلى الأرض، وإلى البشرية جميعاً، ألا وهو الإسلام الحنيف ... فإضافة إلى أدائها الرائع في المجال القومي في خدمة الأمة العربية، فإنها حملت - وتحمل ولاتزال- أعباء وهموم العقيدة والشريعة الإسلامية وأصحابها كُلَّ هذه القرون الخوالي ... فقد حملتها وأدت أدوارها بكل قوة وبكل أمانة وبكل دِقَّة ...

فمن هذا المنطلق، شرع العلماء القدامى في فجر التدوين والتقعيد اللغوِيَّيْنِ، على قدم وساق، وقد شمَّروا عن ساعد الجدّ في هذين الميدانين، بدأوا يجمعون المفردات اللغوية عمن لاقاهم من العرب، ممن عنده مفردة واحدة من العربية، دونوها وسجلوها، ومن ثَمَّ شرعوا بدراستها...

إلا أنهم قد وقعوا في أخطاء جسيمة حين بدأوا يشرعون بالأخذ اللغوي!، فقد أخذوا العربية عمَّن لاقاهم من العرب رجالاً ونساءً، فلم يفرقوا بين لغة الرجال ولغة النساء، ولا بين لغة الأطفال ولغة الكبار ... نعم، فقد أخذوا اللغة خلاطاً ... ثم إنهم أخذوا اللغة بشرط الفصاحة العربية على مبدأين وهما: التبدِّي العميق - الذي يحول دون اختلاط العرب بغيرهم، يعني من غير العرب قاطبة - ، والقرب من قبيلة قريش، لأن القرآن نزل بلغتهم ... وأن هذا يعني: أن التبدِّي هو الإنعزالية التامة للعربية وأهلها، وبالتالي وحشانية اللغة وأهلها، والتي تتنافى وطبيعة اللغة والإنسان من التفاعل مع الحياة في جميع مجالاتها، والتمسك الشديد بلغة قريش، معناه القداسة المطلقة لهذه اللغة، في الوقت الذي استقرضت قريش مئات الألفاظ من غيرها من الأمم الأخرى عبر القرون، والقرآن نزل بهذه اللغة، وهذا أيضاً يتنافى مع التعامل الطبيعي مع طبيعة اللغة ...

ومع وضع هذين الشرطين، فقد ألْغَوْا من المساحة اللغوية العربية لُغاتِ كثير من الجهات والقبائل بدعوى قُربهم واختلاطهم مع الأمم المجاورة من الهنود والفرس والروم والنبط وغيرهم، ما أدَّى هذا القرب - بزعمهم - إلى الإختلاط اللغوي، وبذلك فسدت عربيتهم، فلا يؤخذ منهم شيء من العربية، وقد نسوا أوتناسوا، أو أنهم كانوا على غير علم بلغات غير العربية التي دخلت العربية عبر الأزمان، وقد تضمن القرآن العظيم الذي كانوا بصدد رعايته وخدمته من لغات غير العربية الكثير، كما دوَّنها العلماء في القرون التوالي، وهي تُعدُّ بالعشرات والعشرات من الكلمات في مؤلفات كثيرة ....

وأنهم قد نسوا، أو غفلوا، أو تغافلوا أن الفصاحة اللغوية لاتعني التبدي العميق، والقرب من قريش وإنما الفصاحة اللغوية هي ما تكلمت العرب بألفاظ وكلمات، وإن كانت غير عربية، ولكنها حولتها إلى النمط والنظم العربيين عبر التنسيق الصوتي للأصوات العربية ... فصارت عربية تماماً، وعبر الأجيال، بحيث لم يشعر أحد بعجمية تلكم الكلمات ضمن التركيب العربي ... ثم إن هناك حقيقة، أن قريشاً نفسها، والتي نزل بلغتها القرآن العظيم، هي التي كانت تأخذ ما تراها من الكلمات والألفاظ من لغات أخرى غير العربية، وهي تتناسب مع لغتها، حين تشعر بوجوبيتها في لغتها، لأنها لاتمتلكها، والتي لولاها لهناك فراغ لغوي واضح، فتجعلها عربية قرشية تماماً ... وقد ورد في الأحاديث الشريفة، أن الرسول صلى الله عليه وسلم تفوَّه بكلمات حبشية وتكلم بها...

فمن نتيجة كل ذلك، أنهم قد أحدثوا فراغاً لغوياً كبيراً في مشروعهم اللغوي الكبير، بإلغاء لغات تلك الجهات والقبائل التي كانت - ولاتزال - راسخة في التركيب اللغوي العربي، وقد تكلمت بها العرب في جميع مجالات الحياة المختلفة في حياة العرب والعربية ولاتزال ...

وفضلاً عن كل ما عرضنا، فإن القدامى تعاملوا مع اللغة العربية معاملة الغالب على المغلوب، وكأن اللغة أداة طيِّعة لصاحب اللغة، أو(للمشتغل باللغة وقضاياها)، فلم يحسبوا أن اللغة كائن حيٌّ ينبغي التعامل معها حسب طبيعتها، وتقبُّلها للاستخدامات المختلفة والمتنوعة من لدن متكلميها والمشتغلين بقضاياها، فهنا وقعوا مرة أخرى في هاوية عميقة، فشرعوا يُقَعِّدُونَ القواعد، بحيث تتنافى قواعدهم ومبادئهم التقعيدية في مواضع ومواضيع كثيرة مع الأصول اللغوية الفطرية العربية، اعتماداً على مباديء فلسفية ومنطقية، حتى صار الأمر إلى أن يطال إلى الإعتراض عن مواقع كثيرة من السبك اللغوي القرآني ... !

سنحاول في هذا البحث، أن نتطرق إلى تلكم المسائل المتعلقة ببعض قضايا اللغة العربية، في معرفة طبيعة اللغة ووظيفتها، ومعالجة القدامى العربية لها في فجر التدوين والتقعيد العربيين ...

المبحث الأول:

١- أهمية اللغة: وظيفتها وطبيعتها وطاقتها:

اللغة هي المعجم المعجز الذي يتضمن الحياة، كل الحياة، بكل جوانبها: خيرها وشرها، حُلوها ومُرِّها، حُسنها وجمالها وقُبحها كذلك، عُلوِّها وسُفلها، صعودها وهبوطها .... أي: كل مذاقاتها.

وهذا المعجم يتضمن كذلك هذا الإنسان الناطق باللغة، الذي خُلقت اللغة من أجله، بل سُخِّرتْ له، وهي التي خُلقت له قبل أن يُخلق هو ... :

" وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا "(البقرة:٣١)(١) و" الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ"(الرحمن:٤،٣،٢،١) (٢) ولذلك ؛فإن اللغة هي المرآة الصافية التي تنعكس عليها صور الحياة وجوانبها بأكملها، وتضمُّنها كذلك الإنسان الذي يُمارسها وينطق بها .

إن الحديث عن اللغة شيِّق وممتع ولذيذ، ولكنه مع ذلك صعب وشاقٌّ وعسير، وذلك لأن اللغة هي كلُّ شيء في حياة الإنسان، " فهي أهمُّ ما يُميِّزالإنسان " (د.عبده الراجحي: النحو العربي والدرس الحديث: ١٢٨)(٣) إذن فإن الإنسان هو اللسان، وإن اللسان هو الإنسان .

والكلام لدى الفرد الإنساني، أو اللغة لدى المجتمع البشري " ليست ألفاظاً فحسب، بل هي آداب، و عادات، وأعراف وتقاليد، وطُرق تفكير، ولون من ألوان الشعور،علاوة على كونها وسيلة من وسائل التعبير " (شاكر طوفان العيساوي: القياس اللغوي وأهميته في تطوير اللغة: ١٤)(٤)

فهي الصورة الصادقة للمجتمع الذي يعيش فيه الفرد الإنساني، يُري الماضي و الحاضر، ويستشف المستقبل، ومن هنا يتوضح لنا أن: " اللغة وُضعت ليُعبِّر بها الإنسان عمَّا يبدو له من المآرب، ويتردد في نفسه من المعاني " (المصدر نفسه: ٢٤)(٥)، ولكن إذا كانت اللغة تتمثل في جانبها الشكلي في الألفاظ والمفردات تقريرية أو تحريرية، فإن:" المعاني تبلغ من الكثرة أن تضيق عليها دائرة الحصر، وتنتهي دونها أرقام الحاسبين " (المصدر نفسه: ٢٤)(٦) ضرورة اللغة للحياة ضرورة الماء للحياة، ومن الماء خُلِقَ كُلُّ شيء حيّ، يقول فندريس: " إن اللغة نشأت من الحياة، وأن الحياة راحت(تُغذيها) بعد أن خلقتها" (فندريس:اللغة: ٣)(٧)، ومع ذلك فإن اللغة تظلُّ خاضعة للحياة،لأن تطورها مرتبطة بوجودها، فهي:" في تطورها الذي لا ينتهي إلى حدّ" (المصدر نفسه:٧)(٨)

وهذا الإنسان المكلف بعمارة الأرض، وهذه الأرض التي بمثابة " المسرح الذي مثلت عليه درامة هذا التأريخ الكبرى، وقدمت له ممثلها الرئيس وهو الإنسان، والوسائل المادية التي كان مزوداً بها، ولكن الإنسان رغم هذه

الوسائل المادية كان يظل عاجزاً عن تمثيل الدور الذي قُدِّر له أن يلعبه، لولا تمكُّنه من اللغة " (المصدر نفسه: ٣٤))٩(.

إذن، فإن عنصر الإنسان، و وسائله المادية التي زُوِّد بها في بناء الحياة، كل ذلك لا يتحقق إلا بالجوهر الأساس الذي هو اللغة، " فاللغة وهي أداة الفكر ومساعدته، وهي التي مكَّنت الإنسان من الشعور بذاته، ومن الإتصال بأمثاله، وجعلت الميسور تكوين الجماعات، ومن العسير أن تصور حالة أولية للإنسان كان منها محروماً من مثل هذه الوسيلة الناجعة للعمل . فتأريخ البشرية منذ بدايته يفترض وجود لغة منظمة، وما كان في وسعه أن يسير في طريق التطوير دون اللغة " (المصدر نفسه: ٣٤) (١٠)ولذلك، فإن الحياة مرهونة بوجود اللغة، وكل تطور في الإنسان وفي الحياة، فإنها متعلق بها، ودون الفكاك منها .

إذا كانت اللغة هي في حياة الإنسان، وموقعها من الإنسان والحياة هكذا بصورة جليَّة ... فإنه من الضرورة بمكان أن نتعرَّف على طبيعة اللغة من حيث الواقع التكويني وماهيتها، في معرفة العوامل الداخلية التي تؤثر في اللغة، ومن حيث الواقع الخارجي من حيث استخدامها، والتأثير لها والتأثر بها من القوى المؤثرة الخارجية عليها .

وبذلك يمكن أن نستطيع تفهم طبيعة هذا المخلوق. فاللغة مخلوق من مخلوقات الله التي تُعَدُّ سِرَّاً من أسرار الله في حياة الإنسان. فالحياة خَلْقٌ وإيجاد، زُوِّد بها هذا المخلوق الفريد الذي هو الإنسان

" وَمِنْ آيَاتِهِ اخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ " (الروم: ٢٢))١١(، و"خَلَقَ الإِنْسَانَ*عَلَّمَهُ الْبَيَانَ"(الرحمن: ٣،٤)) ١٢(

فمن هذا المفهوم، هل إن اللغة آلة خاضعة مستخدمة من لدن الإنسان، يستعملها كيفما يشاء، من دون مراعاة لطبيعة هذا المخلوق المزود بها، أم إنَّ لها قوانينها وأساليبها وأصولها، ومن ثَمَّ طبيعتها التي يجب مراعاتها في استخدامها بالصورة الطبيعية التي تكون متوافقة مع أُسسها وبُنيانها، بل يجب الخضوع و الإنصياع لها حين استعمالها واستخدامها في شتى شؤون الحياة المختلفة، لأنها ليست طيِّعة مُلبِّيةً كل مطالب البشر إلا برعايتها، واتخاذ السبل الصحيحة في استعمالها والاستفادة منها، أي: أن هناك توافقاً دقيقاً جداً بين طبيعة البشر وطبيعة اللغة، كلاهما مخلوقان للآخر، لا الإنسان حرٌّ طليق في استخدامه للغة، و لا اللغة خاضعة طيِّعة مستسلمة للبشر في استخدامها لأغراضها البشرية التي لا تنتهي .

وقال فندريس: " اللغة حقيقة واقعة مهما كانت الحال، فاللغة بصوتياتها وبكيانها الصرفي لها وجود خاص ومستقل عن استعدادات المتكلم النفسية " (فندريس:اللغة: ٢٩٩))١٣(، لأن هناك "عوامل لغوية ترجع إلى طبيعة اللغة نفسها، طبيعة أصواتها، وقواعدها، ومتنها... وهلمَّ جرًا ... وذلك أن عناصر اللغة نفسها قد تنطوي على بعض نواحٍ تؤثر في تطورها "(د.الوافي: اللغة: ٧))١٤(، واللغة بذلك " تفرض نفسها على الإنسان في صورة نظام قد أُعِدَّ من قبلُ، في صورة آلة وُضعتْ في يده، وهو يستخدمها لغايات شتى: فيستعملها في حاجات سوقية، أو يستخرج منها آثاراً تدل على الحذق وتدعو إلى الإعجاب" (فندريس:٢٩٩))١٥(

وإذا ذهبنا إلى فرديناند دي سوسير، كما نقله الدكتورمراد كامل، فقد نسمع منه أنه ينظر إلى اللغة من وجهين:وجه: في أن" اللغة من حيث هي نظام مستقر"(مراد كامل:دلالة الألفاظ العربية وتطورها:٩))١٦(، و وجه: في أنها: "هي تغيير لغوي" (المصدر نفسه: ٩))١٧(، أي: نظام غير مستقر، بل متحرك متداول.

إذن اللغة لها طبيعتان: طبيعة مستقرة بما لها من أسس ومباديء وأصول حتى يكون التعامل معها بأسلوب طبيعي مبني على ثوابت وأركان، وطبيعة متحركة متداولة مرنة،بحيث يمكن استخدامها كلغة على المستوى العام، أي: الجماعي، واستخدامها كالكلام على المستوى الخاص، أي: المستوى الفردي، في شتى غايات الحياة .

ومن هذا المنطلق، فإن دي سوسير " نبَّه على ضرورة الفصل بين اللغة باعتبارها لغة، وبين الكلام، أي: بين النظام اللغوي الذي تشترك فيه جماعة من الجماعات، وبين الإستعمال الفعلي الذي يقوم به المتكلم باللغة لهذا النظام " (المصدر نفسه:٩))١٨(، وهذا ما يؤكده، وينبه عليه الباحث: " أن اللغة مجموعة من الأنظمة والعلاقات، وأن الكلام هو النطق، أو الكتابة، بحسب قواعد هذه الأنظمة والعلاقات " (تمام حسَّان: العربية معناها ومبناها: ٣١٥))١٩(

وإذا اتجهنا إلى العالم الكبير الدكتور إبراهيم أنيس، فإنه في كتابه: (اللغة بين القومية والعالمية) يتحدث عن اللغة وماهيتها وجوهرها، بأن: " للغة نظام تخضع له، وقواعد مقررة، فليست فوضى، وليست تتألف من أشياء لا رابط بينها، فلها نظام معين في توزيع أصواتها، ونماذج محددة في بناء كلماتها و جملها " (إبراهيم أنيس:اللغة بين القومية والعالمية:٧))٢٠(

فاللغة والإنسان جانبان يُكمل كل منهما الآخر، وهذه الحالة حقيقة واقعة كما يوضحها لنا الدكتور مراد كامل في محاضراته التي جمعها في دفتي كتاب بقوله أن: "اللغة انعكاس للضمير البشري، وهي تُعرِّفنا الصورة التي تحملها " (مراد كامل:دلالة الألفاظ العربية وتطورها:١٩))٢١ (،لأن "اللغة لا توجد خارج أهلها الذين يفكرون بها، ويتكلمون بها، فإن جذورها متأصلة في أعماق الضمير الفردي، حيث تستمد قوتها لتورق، وتزدهر على شِفاه الناس " (المصدر نفسه: ١٩-٢٠))٢٢(.

واللغة من طبيعتها أنها بحسب طبيعة النفس التي تحملها، تتلاءم وتتناسب وتتوافق، فهي ليست قوالب جامدة تنعدم المرونة فيها، ولذلك فإنها تستجيب لمتطلبات الإنسان حضرياً متحضراً، أم بدوياً بدائياً، ومن هنا، يتوضح تلاحم النفس البشرية مع طبيعة اللغة في أن: " نفس الإنسان المتحضر أكثر قابلية للتجديد (أي: للتجديد اللغوي) من نفس الإنسان البدائي، لأن ظروف الحياة لدى المتحضر توجِّه العقل إلى الإعتبارات المجردة على حساب كل ما هو شاخص " (المصدر نفسه:١٩))٢٣(، وهكذا في " أن اللغة تتلاءم وحاجات المتكلمين بها..." (المصدر نفسه: ١٩))٢٤(

ولتكون الرؤية أكثر وضوحاً في موضوع تلاحم الإنسان واللغة في الحياة، نستشهد بقول مَنْ يقول، إن: "اللغة ليست كائناً مثالياً تتطور مستقلةً عن البشر، وتتبع أغراضها الخاصة بها" (المصدر نفسه:١٩))٢٥(، لأن للغة خواص و صفات خاصة بها، يلزم المعرفة بها والإحاطة بها، ومِنْ ثَمَّ الإنتباه إليها، وإلا ستضيع تلك الصفات بفعل الإنسان وتصرفات الإنسان، لأن اللغة مع ثوابتها اللغوية، فإنها ليست قوالب جامدة، فهي تتأثر بتصرفات الإنسان وتوازناته واختلالاته مع اللغة، وذلك أن: " صفات لغة من اللغات تظل قائمة طالما احتفظ أهلها بنفس عاداتهم في التفكير، وإلاَّ تصبح هذه الصفات معرضة للفساد والاندثار والضياع " (المصدر نفسه:١٩))٢٦(.

وأما من حيث الطاقة عند اللغة، فهي مع ثوابتها اللغوية فإنها تتميز بطاقة ذاتية تحتاج إلى مَنْ يُحرِّكها ويُشغِّلها،لأنها" تورق وتزدهر على شفاه الناس" (المصدر نفسه:١٩))٢٧(، وذلك أن إظهار طاقة اللغة لاستيعاب مفاهيم الحياة وحقائقها، واستجابة متطلبات المتكلمين بها، إنما " تتوقف على عدد الذين يمارسونها، أو على درجة تعلُّمهم " (المصدر نفسه:١٦))٢٨(. فـ " اللغة تنشب جذورها في أقصى أعماق الشعور الفردي، ومن هنا تستمد قوتها لتتفتَّح على شفاه بني الإنسان " (فندريس:اللغة:١٠))٢٩(لأن هناك حقيقة لا ريب فيها وهي أنه: " لا وجود لِلُغَةٍ خارج مَنْ يفكرون بها ويتكلمون بها " (المصدر نفسه:(١٠-١١))٣٠(

ومن طبيعة اللغة أنها حيَّة مُفعمة بالحياة، ما دام أن هناك ناساً يتكلمون بها، ويستخدمونها في حياتهم، ومن نتيجة ذلك: " أن مفردات اللغة تزداد دون حدّ ،مادامت اللغة حيَّة، فكل كلمة منها ينبغي لها أن تُعَدَّ مرات عديدة،

مـرات يسـتحيل تحديدهـا " (المصـدر نفسـه:٢٤٢))٣١(.

٢- المؤثِّرات الداخلية والخارجية في اللغة:

واللغـة مـع ثوابتهـا التـي لا تتزعـزع ولا تضطـرب، وإلا فسـيكون فـوضى لا نهايـة لهـا، وتضطـرب معهـا كـل قيـم الحيـاة وأسسـها، ولذلـك يجـب مراعاتها، والأخـذ بالأسـس اللغويـة الصحيحـة لمعالجاتها، فـإن اللغـة مـع تأثرهـا بالمؤثـرات الداخليـة في ذاتـها، أي: في باطنهـا، فإنها تتأثـر كذلـك بالمؤثـرات الخارجيـة، لأن اللغة مـادة الحياة، وبها تتواصل الأفكـار والعلاقـات والإفهـام والتفهيـم، والغايـات تتجـاوب كلـما دعـت الحاجـة مـع غايـات المتكلمـين بهـا، وانطباعاتهـم وأمزجتهـم وطبائعهـم وتوجهاتهـم في مجـالات الحيـاة الإجتماعيـة والسياسـية والعقليـة والفكريـة كافـة.. "فاللغـة وسـيلة للحيـاة المعـبرة عـن الحاجـات، فهـي أداة للتواصـل والإتصـال " (أمـين الخـولي: محـاضرات عـن مشـكلات حياتنـا اللغويـة:٦٤))٣٢(،كل ذلـك إنمـا يـأتي مـن طبيعـة اللغـة التـي تتسـم بالمرونـة واللـين، والاسـتجابة الطبيعيـة لمطالـب الحيـاة لـدى المتكلمـين بهـا، وهـي غـير ثقيلـة بالطبـع، فيقـول فندريـس: " إن اللغـة إذا كانـت مرنـةً خفيفـةً، مقتـصرةً عـلى الحـد الأدنى مـن القواعـد النحويـة، سـمحت للفكـرة بالظهـور في وضـوح تـام، وأتاحـت لهـا حريـة الحركـة، وعـلى العكـس مـن ذلـك تختنـق الفكـرة مـن التضييـق، الـذي يصيبهـا مـن لغـة جامـدة ثقيلـة، ولكـن عقليـة المتكلمـين تتـصرف لتعتـاد أي شـكل مـن أشـكال اللغـة، لذلـك كان مـن المحـال " تحديـد اللغـة بمـزاج الأمـة التـي تتكلمهـا" (فندريس:اللغـة:٣٠٢))٣٣)

كـل ذلـك إنمـا يعـود إلى طبيعـة اللغـة، حيـث تتأثـر بعوامـل خارجيـة لا فـكاك منها،كـما يقـول البـاحث : " فالبيئـة الطبيعيـة المـادية التـي تعيـش فيهـا اللغـة تؤثـر في تطورهـا، والظـروف النفسـية و العاطفيـة والعقليـة لمتكلمـي اللغـة تؤثـر في تطـور اللغـة ... وأنمـاط الحيـاة التـي يحياهـا متكلمـوا اللغـة تؤثـر في تطـور اللـغة .. فديـن أهلـها .. وحكومتهـم .. وعلمهـم .. وفنهـم .. وجِدُّهـم ولهوهـم .. كلهـا... وسـواها تؤثـر في اللغـة وتوجههـا وتعمـل في تطورهـا، ويتجسـم في هـذه المجـالات كلهـا مـا يحدثـون بـه جملـة عـن شـدة حساسـية اللغـة، وإنـها في ذلـك أدق الظواهـر الإجتماعيـة وأسرعهـا تغـيراً وأحسـها تأثـراً .. فـكل نبـأة ، وهمسـة في حيـاة الجماعـة التـي تتكلـم لغـة تـترك أثرهـا في هـذه اللغـة المتكَلَّمـة، وتغـيِّر مـن حالهـا، وتُحـدث أثرهـا في تطورهـا " (أمـين الخولي:محـاضرات عـن مشـكلات حياتنـا اللغويـة:٥٧-٥٨))٣٤ (

المبحث الثاني:

١- تجديد اللغة:

الحيـاة بـكل ثِقَلِهَـا تقـع عـلى كاهـل اللغـة، فهـي التـي تُمَشِّي أمورهـا، وتعمـل عـلى تسـيير متطلباتهـا كـما تتطلـب سـنن الحيـاة، ولذلـك فـإن اللغـة تتأثـر بمفـردات الحيـاة كلهـا، فتتغـير بذلـك تراكيـب وعبـارات، وتتبـدل صيـغ بأخـرى، وتتقـادم تعابـير وأسـاليب، وتحـدث أخـرى... هكـذا يكـون هنـاك تجديـد للغـة وتغيـير في اسـتخداماتها واسـتعمالاتها، تبعـاً لتجـدد الحيـاة وتغيرهـا وتغييرهـا وتجديدهـا، ولذلـك فـإن "الحيـاة تشـجع عـلى تغـير المفـردات، لأنهـا تهـيء الأسـباب التـي تؤثـر في الكلمـات..فالعلاقات الإجتماعيـة، والصناعـات بآلاتهـا المتنوعـة تعمـل عـلى تغـير المفـردات، وتقـضي عـلى الكلـمات القديمـة،أو تُحـوِّر معناهـا كـما تتطلـب خلـق كلـمات جديـدة".

(مراد كامل:دلالة الألفاظ العربية وتطورها:٢٣-٢٤)٣٥(

فمـن هـذا المنظـور، نصـل إلى الحقيقـة التـي لا ريـب فيهـا، وهـي أنـه لا انفصـال بـين اللغـة والمجتمـع البـشري بـأن المجتمـع شيء، واللغـة شيء آخـر،كل منهـما مسـتقل عـن الآخـر في تطـوره،أو تغـيره أو تقادمـه، أو تحادثـه! لا..ولذلـك فإنـه "مـن الخطـأ

أن نعتبر اللغة كائناً مثالياً تتطور مستقلةً عن البشر، وتتبع أغراضها الخاصة بها" (المصدر نفسه:١٩))٣٦(، لأن "اللغة لا توجد خارج أهلها الذين يفكرون بها ويتكلمون بها " (المصدر نفسه:١٩))٣٧(

ولذلك يمكن أن نصف هذه العلاقة بين البشر واللغة، والمجتمع واللغة، والفرد واللغة، وصفاً أدبياً بأنها عملية (التناص) بين واقعين، وبين وضعين، وبين مفهومين لأن " اللغة ــ كما أثبت علم اللغة الحديث، وعلماء الإجتماع عند دراستهم للظواهر الإجتماعية ــ ظاهرة اجتماعية مكتسبة كبقية الظواهر، تتأثر بالمجتمع وتطوراته، وتواكبه في سيره المختلف الإتجاهات في اللغة والمجتمع، متفاعلان لا ينفكان من التفاعل أبداً " (شاكر طوفان العيساوي: القياس اللغوي وأهميته في تطوير اللغة:٢٣))٣٨ (

فالحياة بحركتها التي لا تتوقف، وتجددها الذي لا ينضب، وباستمرار، وعلى الدوام، تدفع باللغة أن تولِّد كلمات وألفاظاً وتراكيب، توافق وتناسب ذلك التجدد، وذلك التحديث للحياة، حتى لا تتجمد اللغة في قوالب صُلبة لا يمكن تجاوزها، والإتيان بالجديد من مخزون اللغة التي لا تنفد ولا تنتهي، وهي ترى، لاتوقُّف ولا سكون .

أجل، إنه مع أن " للغة نظام تخضع له، وقواعد مقررة، فليست فوضى، وليست تتألف من أشياء لا رابط بينها" (إبراهيم أنيس:اللغة بين القومية والعالمية:١٥)(٣٩)، إلا أنها مع ذلك فإنه مهما كثرت "الملاحظات بخصوص اللغة، لا تؤلف قانوناً ثابتاً كقوانين الجاذبية مثلاً، ذلك لأن اللغة منذ نشأتها سلوك إنساني في مجتمع إنساني،أي: أن للإنسان دخلاً في تطوراتها وتغيراتها، ومثل قوانينها مثل كل القوانين الاجتماعية التي لا تعرف الاطراد العام، ولهذا تختلف عن القوانين الطبيعية " (المصدر نفسه:١٥)(٤٠)

وإذا راجعنا كتاب(الوافي) في معرفة الجوانب المؤثرة في اللغة، نجد أن هذا الباحث قد أحاط بكثير من الجوانب المؤثرة الخارجية في اللغة، في أن اللغة تتأثر بـ" عوامل اجتماعية خالصة تتمثل في حضارة الأمة، ونظمها، وعاداتها، وتقاليدها، وعقائدها، ومظاهر نشاطها العملي والعقلي، وثقافتها العامة، واتجاهاتها الفكرية، ومناحي وجدانها ونزوعها ...وهلم جرا .. وكذلك بعوامل أدبية تتمثل فيما تُنتجه قرائح الناطقين باللغة، وثم انتقال اللغة من السلف إلى الخلف، وعوامل طبيعية تتمثل في الظواهر الجغرافية والفزيولوجية وما إليها، إضافة إلى العوامل المعنوية الداخلية للغة نفسها، وهي عوامل لغوية ترجع إلى طبيعة اللغة نفسها، و طبيعة أصواتها وقواعدها ومتنها ... وهلم جرا .. وذلك أن عناصر اللغة نفسها قد تنطوي على بعض نواحٍ تؤثر في تطورها " (الوافي:اللغة:٧)(٤١)

٢-عامل الزمن:

وإذا أنهينا البحث في تأثر اللغة بمؤثرات من داخلها: من بنيانها وتراكيبها، وبمؤثرات من خارجها، نتلاقى بمؤثِّر آخر في اللغة، ألا وهو: عامل الزمن الذي يفعل ما يفعل بالأجيال المتعاقبة للبشر، حيث أن لكل جيل خواصه وصفاته وطبعه ونفسيته ودوره في الحياة، يختلف عن السابق، ويختلف عن اللاحق .

فالإنتقال اللغوي من السلف إلى الخلف عبر زمنين مختلفين، و واقعين منفصلين في الخطوط العامة، و كثير من الخاصة، يترك آثارًا جداً واضحة، وبائنةً، بحيث تجد العلامات الفارقة في كثير من الظواهر اللغوية، و خاصة في المجال الصوتي الذي يرسم آثاراً واضحة في سحنة اللغة عند أصحابها.

يقول الدكتور الوافي، إن: " التطور الطبيعي المطرد لأعضاء النطق في الإنسان، يبين أن هذه الأعضاء غير جامدة على حالة واحدة، وأنها في تطور طبيعي مطرد في بيئتها، واستعدادها ومنهج أدائها لوظائفها، وأنها في كل جيل تختلف عنها في الجيل السابق له. فحناجرنا وحبالنا الصوتية، وألسنتنا وحلوقنا وسائر أعضاء نطقنا تختلف عما كانت عليه

عند آبائنا الأولين، بل إنها لتختلف عما كانت عند آبائنا المباشرين، غير أن هذا التطور يسير ببطء وتدرج، حتى إن آثاره لا تكاد تُحَسُّ بين جيلين متتابعين، ولكنها تبدو واضحة كل الوضوح، بالموازنة بين جيلين من شعب واحد تفصلهما حقبة كبيرة من الزمن .

ومهما يكن من شيء، فإن كل تطور يحدث في أعضاء النطق، أو في استعدادها مهما كان مبلغه، يتبع تطور في أصوات الكلمات، فتنحرف هذه الأصوات عن الصورة التي كانت عليها إلى صورة أخرى، أكثر منها ملائمة مع الحالة التي انتهت إليها أعضاء النطق، ومن ثم لم يكن بُدٌّ من أن يحدث في أصوات كل لغة انحراف ما في أثناء انتقالها من السلف إلى الخلف، تبعاً لما يمتاز أولئك عن هؤلاء، من خصائص ناشئة عن التطور الطبيعي في أعضاء النطق، ولِما تقضي به سنن الطبيعة من اختلاف هذه الأعضاء في كل جيل عنها في الجيل السابق له " (المصدر نفسه:٤٨-٤٩)(٤٢) وإضافة إلى ما تقدم، فإن أثر العامل من حيث انتقال اللغة من السلف إلى الخلف، وتطور أعضاء النطق لن ينحصر فيما قدم " بل قد يؤدي إلى انقراض الكلمة برمتها إنقراضاً تاماً من لغة المحادثة، وذلك أن ثقل الكلمة على اللسان، أو عدم تلاؤم أصواتها، مع الحالة التي انتهى إليها تطور أعضاء النطق في جيلٍ ما، كثيراً ما يعرِّضها هي نفسها للزوال " (المصدر نفسه:٥٢)(٤٣)

وهناك نقطة أخرى وهي هامة، وقد أشار إليها الدكتور(الوافي) بخصوص هذا الأمر، وهي أن: "الأخطاء السمعية التي تنشأ عن ضعف بعض الأصوات، والتي تؤدي إلى سقوط هذه الأصوات في أثناء انتقال اللغة من السلف إلى الخلف، فقد يحيط بالصوت بعض مؤثرات تعمل على ضعفه بالتدريج، فيتضاءل جِرسه شيئاً فشيئاً، حتى يصل في عصرٍ ما إلى درجة لا يكاد يتبينه فيها السمع، فحينئذ يكون عُرْضَةً للسقوط في لغة الخَلَف) (المصدر نفسه:٥٢) (٤٤)

٣- معايير العلماء:

وفي شوط آخر من هذا البحث، نقف حيال حقيقة مهمة من حقائق البحث العلمي، وهي: ما هي المعايير التي اتخذها علماء العربية القدامى، في معالجة اللغة العربية من حيث تقنينها، و وضع القواعد النحوية والصرفية لها، وإدراك الجوانب الجمالية والبلاغية فيها ..؟

هل إن هؤلاء العلماء أخذوا بجانبي البحث اللغوي بنظر الإعتبار؟.. جانب الإنسان الذي يحمل اللغة، و تتداخل هنا مسألة الأعمار حيث أنه:"في بعض الأحيان تختلف اللغات أيضاً باختلاف الأعمار"

(فندريس:٣٢٣)(٤٥)ومن ثَمَّ فإن " النساء لا يستعملن اللغة التي يستعملها الرجال، حتى عندما يفهمن الكلمات التي يستعملها الرجال، لا يكون لهنَّ الحق في النطق بها " (المصدر نفسه: ٣٢٢)(٤٦)، وجانبٍ ثانٍ، وهو جانب اللغة التي هي المادة المستخدمة لدى الإنسان، من حيث أن لها قوانين وقواعد فطرية أصيلة، أصالة الحياة دون تدخل أحد فيها ...

وهل أنهم درسوا اللغة من حيث معاييرها الزمنية من العصور والأزمان، لأنها مادة التواصل الحياتي هي هي، و وسيلة الاتصال والتواصل، وهذه الوسيلة تتغير من حال إلى حال، و من زمن إلى آخر ...؟

نعم، نسأل عن معايير النحاة والعلماء القدامى، في أخذ اللغة ومعالجتها من منطلق دراسة قُطْبَيْ المسألة، وهما: الإنسان واللغة معاً ؟

هل أنهم درسوا اللغة بأنها: " ليست إلا نشاطاً اجتماعياً، لا اجتهاداً عقلياً، وتدبيراً منطقياً.. ولا مجال لعمل الفرد أو

الأفراد فيها إلا ما قد يكون من تأثير لنفسياتهم، أو شؤونهم العملية الحيوية على هذا النظام اللغوي، الذي أنتجه العقل الجماعي، فبرز في الدنيا كائناً حياً بين سائر الكائنات، مادية ومعنوية، يتأثر بها ويؤثر فيها، إذ يتفاعل معها، فيكون ذلك في حياة الظاهرة اللغوية مع الظواهر الأخرى للجماعة: من نظام سياسي، أو نظام اقتصادي، أو نظام ديني، وما إلى ذلك، ويظهر أثر التفاعل بين اللغة وسواها في حياتها، وتغيرها، وسير الزمان بها " (مراد كامل:دلالة الألفاظ العربية وتطورها:٤٠-٤١) (٤٧)

وهل أدركوا أن: "اللغة انعكاس للضمير البشري، وهي تُعرِّفنا صورة النفس التي تحملها.."

(المصدر نفسه:٤٠-٤١)(٤٨) أم أنهم مرُّوا على هذا الجانب مرَّ الكرام ..؟

وهل عدَّ هؤلاء القدامى الكرام اللغة: " مرآة المجتمع لأنها ليست ألفاظاً فحسب، بل هي آداب وعادات و أعراف وتقاليد، وطرق تفكير، ولون من ألوان الشعور، على كونها وسيلة من وسائل التعبير"؟

(نفسه:٢٣-٢٤)(٤٩)، حتى يمكن بطريقة سهلة جداً من فهم اللغة بأنها: "أصدق سجل لتأريخ الأمة، إذا ما أُحسن تتبع مراحل تطورها، ودرس خصائص كل مرحلة منها" ؟ (شاكر طوفان: القياس اللغوي وأهميته في تطوير اللغة:٢٣-٢٤)(٥٠)

وهل أنهم درسوا حقائق اللغة من الوجهة الحضارية، من حيث ذلك الإجراء المتواصل والمستمر بين اللغة والحضارة، وذلك من حيث ما: "للغة من ارتباط وثيق بحضارة المجتمع، فإذا اتسعت حضارة أمة من الأمم، وازدهرت وكثرت حاجاتها، وتعددت مرافق حياتها، نهضت لغتها، فتكثر مفرداتها، وتتغير تراكيبها في سبيل التعبير عن المسميات والأفكار الجديدة التي أحدثها التمدن والتحضر" ؟

(نفسه:٢٣-٢٤) (٥١)

من المعلوم أن العربية بمجيء القرآن والإسلام، انتقلت من عصر البداوة إلى عصر الحضارة، من زمن الإنشغال الذاتي الداخلي مع متكلميها العرب قاطبة، إلى زمن الإنشغال الخارجي الأجنبي، فظهر بذلك عصران، وزمانان، وأحوال وأحوال يختلف كل منهماا عن الآخر زمناً، وحضارة، وبشراً، وبيئة، والثقل الحضاري الواقع على كاهل اللغة، فهل درس هؤلاء القدامى الأفاضل اللغة العربية انطلاقاً من هذه المفاهيم والمعايير، وهل حسبوا ألف حساب لطبيعة المجتمع الذي تحولت فيه اللغة، وطبيعة اللغة التي بإمكانها أن تستوعب ثقل ذلك المجتمع الجديد، ولا تئِنُّ تحت وطئته، وثقله، وحجمه.. وهل أدركوا أن اللغة:" ظاهرة اجتماعية مكتسبة كبقية الظواهر، تتأثر بالمجتمع وتطوراته، وتواكبه في سيره المختلف الإتجاهات .. فاللغة والمجتمع متفاعلان لا ينفكان من التفاعل أبداً. ومن الخطأ أن نعتبر اللغة كائناً مثالياً يسير في تطوره مستقلاً عن بني الإنسان متجهاً نحو غاياته الخاصة ... " (فندريس:اللغة:٣)(٥٢) هل درَوْا وتحسسوا بتعدد المستويات اللغوية في الناس، نظراً لتعلق اللغة بتطورالحياة الإجتماعية كما يذهب إلى ذلك الدكتور أنيس بقوله: "ومما لاشك فيه أن الحياة الإجتماعية تتطور ولا تتوقف في نقطة ما،و تتبعها مناحي الحياة الأخرى.. وبسبب هذا كله تتعدد المستويات اللغوية في الناس" (إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية :١٨)(٥٣)

وقد ذهب فندريس إلى توضيح وتفصيل وتخصيص الموضوع في أن:"البلى الذي يصيب الكلمات يرجع دائماً ولو بمقدار قليل إلى البيئة الإجتماعية التي تستعملها، وإذن يجدر بنا أن نناقش مسألة تجديد المفردات من الوجهة الإجتماعية"؟ (فندريس:اللغة: ٢٧٩-٢٨٠)(٥٤)، أم أنهم اتخذوا منهجاً طابعه التقنين والتقعيد على نمط واحد، وخلط جميع المستويات اللغوية في قالب واحد، ويلزم الناس باتباعه ودون تجاوز ؟

لا ضير في أن يتخذ المتخصص في اللغة وتقعيدها، أساليب في تطويع اللغة لتكون سهلة التناول لدارسيها ومتعلميها،

ولكن، هل استطاع هؤلاء العلماء أن يُدركوا أن: " للغة نظام تخضع له، وقواعد مقررة، فليست فوضى، وليست تتألف من أشياء لا رابط بينها، فلها نظام معين في توزيع أصواتها، ونماذج محددة في بناء كلماتها وجملها"؟ (إبراهيم أنيس:اللغة بين القومية والعالمية:٧) (٥٥) أم أنهم لوَّوا عنق اللغة لمعاييرهم، ولم يبالوا بنظام اللغة الدقيق، واصطنعوا معايير تقعيدية أجبروا اللغة في أن تقتحم في مضامينها وثناياها.. حيث فقدان كل معالمها اللغوية الفطرية، وينعدم طعمها اللغوي الفطري الذي ينبع من معين الفطرة السليمة الطبيعية !؟

أَلَمْ يدُرْ ببال العلماء، أن: "اللغة الصحيحة هي التي يتوارثها الناس، لا اللغة التي يعتقد شخص آخر أنه يتحتم عليهم أن يتحدثوها" (ماريو باى: لغات البشر:١٢)(٥٦)

وألم يَدُرْ ببالهم " أن اللغة الوحيدة الصحيحة هي لغة الكلام"؟ (نفسه:١٢)(٥٧)، أم أنهم اصطنعوا لغة فرضوها من سُبُلِ التقعيد والتقنين على الناس، وما سواها فهي خطأ، أو غلط، أو مكروه، أو شاذ ...إلخ قائمة المصطلحات التي وضعوها، واللغة قد تلطَّخت بفعل تلك المصطلحات المشينة بحقها.

إن الباحث اللغوي يبحث عن اللغة التي مناطها الإنسان، وهي ملتصقة به التصاق الروح للجسد، والإنسان نفسه ذلك المخلوق الفريد، الذي يتميز بالتطور والتغير والتحول والتبدل في جميع نواحي حياته الفسيولوجية والسيكولوجية والاجتماعية والثقافية ..، وغيرها وغيرها من مناحي حياته، وإلاَّ تتأسن الحياة وتبور، ومن ثَمَّ تتوقف أو تتعطل، ولذلك فإن:"المقامات والمقالات جميعاً من عمل الإنسان، والإنسان أكثر شيء استعصاءً على الضبط والتعقيد" (تمام حسان: العربية معناها ومبناها:٤٢)(٥٨)

ولذلك أَإِتَّخذ فقهاء اللغة القدامى هذه الإعتبارات، وخاصة اعتبار الإنسان بأنه هو النقطة المركزية في المدار اللغوي بنظر الإعتبار .. ويجب أن تكون اللغة منه وله في آن واحد، لا أن تصاغ لغة في قوالب معينة يلزم بها اتِّباعها واستخدامها !؟

وهل حسبوا الحساب الدقيق في: " أن اللغة مجموعة من الأنظمة والعلاقات، وأن الكلام هوالنطق أو الكتابة بحسب قواعد هذه الأنظمة والعلاقات "؟ (نفسه:٤٢)(٥٩)، وأن الكلام تقريراً أو تحريراً إنما يأتي من معين اللغة الموجودة، دون تحوير وتبديل وتعديل وتقنين وتقعيد من لدن أحد ــ سوى تنظيم أبواب اللغة ــ وإنما من ذات قوانين وقواعد اللغة الفطرية نفسها.

يبدو أن اللغويين القدماء حين أقدموا على وضع القواعد والقوانين المعيارية للعربية، لم يحسبوا مذاقات الناس اللغوية حسب الأزمان وحسب الأجيال وحسب الأعمار، وحسب الجنس من الذكور والإناث. والناس ــ كما هو معلوم ــ مختلفةٌ مشاربهم وأذواقهم، ولا يشبه أحد أحداً أبداً، سوى قواسم مشتركة في بعض الأشياء،إذن، ألم يعلموا" أن لكل زمن أو بيئة ذوقاً خاصاً في استعمال ألفاظ اللغة، ويبدو ذلك في أدب الأمة ..، ولا يمكن أن نطبق ما تواضع عليه الناس من أساليب الذوق في هذا الباب في زمن معين على لغة أو لهجة في زمن آخرأو بيئة أخرى"؟(إبراهيم السامرائي: فقه اللغة المقارن:٢٣١)(٦٠)، فبضاعتهم في التقنين كانت على نمط واحد، وفي سمت واحد ...!

القدامى من العلماء لِمَ لَمْ يظفروا بحقيقتين مهمتين وهما أن:"..اللغة أهم ما يميز الإنسان، ومن ثَمَّ فإنها نظام دقيق، ليس من اليسير أن نقول، أن الطرق لنحوية التي بين أيدينا تقفنا على أسراره وحقائقه" (عبده الراجحي: النحو العربي والدرس الحديث:١٢٨)(٦١)

وفي موضوع (الكلمة) من الكلام، صحيح لدى النحاة أن الإستعمال قوة لا يستهان بها، في التجويز والسماح للكلمة أن تؤدي دورها في الكلام، وفي تأدية الحاجة اللغوية لدى المتكلم "لأن الكلمات في جملتها تدل على أفكار فردية"

(فندريس:اللغة:٩)(٦٢)، ولكن هل استطاعوا أن يدركوا، أنه حين إشغال الكلمة وتشغيلها، تتعرض الكلمة إلى تغيرات أخرى في المعنى، وتأتي بمعانٍ جديدةٍ متنوعة ومختلفة))؟ (مراد كامل: دلالة الألفاظ العربية وتطورها: يُنظر:٢٤)(٦٣) صدق ما قاله ابن جِنّي من أن: " اللغة أصوات يعبِّرُ بها كل قوم عن أغراضهم " (الخصائص/ج١ ٣٤)(٦٤) ولكن هل بحثوا، وهل درسوا ما وراء هذا الصوت الذي هو اللغة، في مضمون هذا التعريف من قِوىً و إمكانات واستعدادات لدى المتكلم للغته؟، لأن: " اللغة مركب معقد تمسُّ فروعاً من المعرفة مختلفة، ويُعنى بها طوائف متفرعة من العلماء، فهي: فعل فسيولوجي من حيث إنها تدفع إلى العمل عدداً من أعضاء الجسم الإنساني، وهي: فعل نفساني من حيث إنها تستلزم نشاطاً إرادياً للعقل، وهي: فعل اجتماعي من حيث إنها استجابة لحاجة الإتصال بين بني الإنسان، ثم هي في النهاية: حقيقة تأريخية لا مراء فيها نعثر عليها في صور متباينة، وفي عصور بعيدة الإختلاف على سطح المعمورة قاطبة " (فندريس: اللغة:٣٤)(٦٥)

كلما كثر عدد الأفراد، كثرت اللغات، لأن العقول هي التي تحيا وتقرر وتشغل الكلمات في معانيها ومرادها، حسبما يريدها أصحاب العقول، " فالكلمات لا تحيا من ذاتها وبنفسها، بل إن العقل هو الذي يحيا ويغير معناها، كما أن حياة العقل هي التي تغير أسماء الأشياء وتجددها، فليس من الباطل أن يقال: بأنه يوجد من اللغات قدر ما يوجد من الأفراد " (فندريس:اللغة:٦-٧)(٦٦)

وأصحاب العقول، أي الأفراد، لم يكونوا ولن يكونوا من طبقة واحدة معينة في المجتمع، الأمر الذي يتطلب تنوع المعاني للكلمات ليناسب المستويات والطبقات كافة، نظراً لكون المجتمع من طبقات، إذن فإنه: " يرجع الجزء الأكبر من تغيرات المعنى، إلى توزيع المتكلمين في طبقات اجتماعية مختلفة، إلى انتقال الكلمات من مجموعة اجتماعية إلى أخرى " (نفسه:٩)(٦٧)

هل إن الأقدمين من العلماء، حين عالجوا قضايا اللغة العربية في تقانينهم و تقاعيدهم اللغوية، أخذوا هذه المسائل بنظر الإعتبار، أم أنهم أخذوا اللغة ممن شاءوا وتصادفوا، ومتى وأين شاءوا كظاهرة عامة، و بصورة عامة، ومن الناس سواسية دون تفريق وتصنيف لهم، طوال عصور الإحتجاج اللغوي، أو في بقاع معينة ، وأناس معينين...؟

وإذا كان القدامى من العلماء لم يتخذوا هذه الإجراءات في معالجاتهم اللغوية للغة، ولم يسلكوا هذه المسالك الصحيحة العلمية والطبيعية في أخذ اللغة!، إذن فأي مسلك سلكوه في حياتهم وممارساتهم اللغوية، وأي أسلوب من الأساليب العلمية واللغوية اتخذوها حين أقدموا على المشروع اللغوي العلمي، بدءاً من القرن الأول إلى نهاية عصر الإحتجاج اللغوي ...، وما هي المعايير التي عدُّوها أحسن المعايير واتخذوها ميزاناً للصحة اللغوية وعدمها، حين استمعوا إلى أصحاب اللغة ومالكيها، وأخذوا اللغة العربية منهم ...، وهل إن العلماء متفقون على أسلوب واحد، أم اتخذ كل واحد منهم سبيلاً يختلف قليلاً أو كثيراً عن غيره من أقرانه العلماء النحاة ؟!!

إن الإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها، إنما تكون بالتوجه إلى آراء الباحثين والمشتغلين في مجال البحث اللغوي المعاصرين و غيرهم من علماء اللغة في العصر الحديث، وكذلك الإرتكان إلى أعمدة البحث العلمي اللغوي الذي يجب أن تُعدَّ هي الأساس والمعوَّلُ عليها في الأخذ والبحث والتعليل والتحليل.

٤-اللغة بين نظام مستمر، وآخر متغير

إن هناك مسألتين لغويتين مهمتين، وهما حقيقتان لا مناص منهما، فيما يجب الأخذ بهما بنظر الإعتبار في البحث اللغوي في كل لغة من لغات الدنيا، وقد أظهر فرديناند دي سوسير أهمية هاتين المسألتين وهي: الفصل بين

الحقيقتين "بين اللغة من حيث هي نظام مستقر، وبين اللغة من حيث هي تغيير لغوي ". (نقلاً عن: دلالة الألفاظ العربية وتطورها:٩)٦٨

ويريد دي سوسير بعد ذلك بـ " وضع المناهج الخاصة في دراسة كل من المسألتين، لأن كلا الموضوعين ، اللغة من حيث هي نظام مستقر، في أن " للغة نظام تخضع له، وقواعد مقررة، فليست فوضى، وليست تتألف من أشياء لا رابط بينها"(إبراهيم أنيس: اللغة بين القومية والعالمية:٧)(٦٩)، واللغة من حيث هي تغيير لغوي،لأن " اللغة منذ نشأتها سلوك إنساني في مجتمع إنساني، أي : أن للإنسان دخلاً في تطوراتها وتغيراتها "(نفسه:١٥)(٧٠)

وإضافة إلى ما قدمه دي سوسير في هذا المجال، فقد نَبَّهَ إلى مسألتين لا تقِلُّ أهميتهما عن الأُخْرَيَيْنِ اللتين سبقتا، وهما: اللغة والكلام، فقد " نبَّهَ على ضرورة الفصل بين اللغة، باعتبارها لغة، وبين الكلام، أي: بين النظام اللغوي الذي تشترك فيه جماعة من الجماعات، وبين الإستعمال الفعلي الذي يقوم به المتكلم باللغة لهذا النظام " (نقلاً عن:مراد كامل: دلالة الألفاظ العربية وتطورها:٩)(٧١)، فإنه واضح " أن اللغة مجموعة من الأنظمة والعلاقات، وأن الكلام هو النطق أو الكتابة بحسب قواعد هذه الأنظمة والعلاقات". (تمام حسان: العربية معناها ومبناها:٣١٥) (٧٢)

وحين نراجع ما قدَّمه علماء اللغة والنحو في اللغة العربية، نرى أنهم اتخذوا منهجاً، واتبعوا أسلوباً في التعامل مع مادة اللغة التي في صدور الأعراب، من مفردات لم تَرَ بصيصاً من نور الحضارة، إنها هي هي اللغة كما خلقها الله في صدور هؤلاء القوم، نستطيع أن نقول إنها لغةٌ (نَيِّئَةٌ) إذا جاز التعبير، ولا شك أنها تتمتع بنظام الاستقرار اللغوي، وكذلك تتمتع بالتغير اللغوي ، لكن هؤلاء العلماء إنما عملهم الأول والأخير كان في التقاط جانب كبير وليس الكل من مفردات لغة هؤلاء القوم، مما نتج عن ذلك حدوث ثغرة، أو عمل ناقص تركه علماء العربية، حتى إن المستشرقين حاولوا ملء هذه الثغرة ببحوثهم في العربية فلم يفلحوا، و وقعوا في الخطأ نفسه كما وقع علماء العربية أنفسهم، يقول الباحث: "إذا نظرنا إلى اللغة العربية، ورجعنا إلى ما وفَّق إليه علماء العرب والمستشرقون من الكشف عن اللغة العربية،لوجدنا في ذلك نقصاً،ولمسنا الحاجة إلى مزيد من البحث والدرس لاستكمال هذا النقص وسدِّ تلك الثغرة"(مراد كامل دلالة الألفاظ العربية وتطورها:٢٩)(٧٣)

والثغرة تلك، إنما تتمثل في حجم وكمية المادة اللغوية التي تتطلب وتستلزم العمل عليها للوصول إلى نتائج البحوث اللغوية التي تخدم اللغة، وترسم الخطوط والأسس السليمة، في تعميق الدراسات المستقبلية لوضع اللغة وشأنها، ولذلك يتطلب الأمر في " الكشف عن اللغة، حيث يحتاج أولاً إلى الجمع والوصف، ثم إلى التحليل والتعليل والتأليف. وقد نجح اللغويون والنحويون قديماً في جمع موادااللغة العربية و وصفها، وتوصلوا إلى تدوين أكثر ما جاء في الشعر وقليلاً من النثر، وكان نجاحهم الذي أحرزوه في الصرف والنحو أكثر منه في مفردات اللغة" (نفسه:٢٩)(٧٤)، أي: أن استقراءهم لمفردات اللغة لم يكن تاماً بل ناقصاً.هذه هي المعضلة الرئيسة في هذه المسألة، حيث أن هؤلاء العلماء كان عملهم في جمع المفردات العربية غير موفق، واهتمامهم كان مُنصباً على جمع مواد من اللغة للتقنين والتقعيد ليس إلاَّ، ولم يكن اهتمامهم جمع المادة اللغوية: المتن اللغوي الكامل: الإستقراء التام حتى الإستقصاء المتمثل في المفردات التي لا حصر لها ــ لأن المفردات تلد باستمرار استمرار الحياة ــ وحتى المستشرقون المهتمون باللغة العربية لغرض فهم الحضارة الإسلامية طبعاً، لم يوفقوا كذلك (إما قصداً أو إخفاقاً !!) في جمع المادة اللغوية، وسلكوا المسلك نفسه في الإهتمام بالصرف والنحو كأمثالهم علماء اللغة العربية، يقول الباحث: " وحاول المستشرقون أن يسدُّوا هذا النقص، ولكن كان توفيقهم في الصرف والنحو أكثر منه في مفردات اللغة أيضاً، والسبب في ذلك أن دراسة

المفردات والبحث فيها أوسع وأكثر تشعباً من دراسة النحو" (نفسه:٢٩)(٧٥)

اللغة تعني المفردات، وهي منها تتألف، هي مادتها، وهي مفاصلها، وروحها ... ولذلك تستلزم الإحاطة بالمفردات وجمعها، وتتبع تكاثرها، واستعمالاتها وإهمالاتها، إذن:" فعدد الألفاظ وتعدد معانيها يربو كثيراً عن عدد أشكال البناء والتراكيب المعروفة، ومفردات اللغة تعددت وتنوعت، ودخلها التغيير أكثر مما نجده في الصرف والنحو " (نفسه:٢٩)(٧٦) ولا شك أن العربية كانت لغة الأدب شعراً ونثراً، ولكن في عصر وزمن وبيئة طابعها البداوة، وحيث انتقلت إلى الإسلام والحضارة، فإنها لابد لِلُّغَةِ أن تتحضر، وتترك مرحلة البداوة، وتصبح مادة للحياة يستخدمها العربي والعجمي في البعيد وفي القريب، وفي علوم شتى، ولذلك فإنه " على الرغم مما بذله العلماء العرب في درس اللغة العربية من حيث الصرف والنحو، فإنهم قصروا في توجيه العناية الكافية بالمفردات، والكشف عن تطور اللغة بعد الإسلام، والسبب في هذا يرجع إلى السؤال عن الجائز في اللغة وعدمه، وقد دعاهم ذلك إلى الإمتناع عن تدوين كثير من المفردات والعبارات " (نفسه:٣٠)(٧٧)، في حين أنه " قد مرَّت على حياة اللغة العربية أطوار أخذت فيها من الألفاظ الدخيلة أو المولدة بحسب حاجتها، وبحسب الظروف التي تعرضت لها " (نفسه:٣٠)(٧٨)

إن هذه الحالة تؤكد حيوية العربية أولاً، ثم أنه ليست هناك لغة في الدنيا تتضمن كل المفردات للتعبير عن كل المعاني الدالَّة، فلابد أن تستقرض من غيرها من اللغات، وهذا ليست منقصة ولا عيباً، فدراسة هذه الحالة توضح لنا طبيعة المفردات العربية وأعدادها، وقوتها في الإستجابة لمتطلبات الحاجات اللغوية وقبولها لكل جديد وارد من هنا وهناك ....

إن علماء العربية ابتدعوا بدعةً نادرةً جداً، لن تغفر اللغة العربية وأهلها عنهم أبد الآبدين! إنهم قطعوا أوصال العربية، فقد نبذوا مئات الألفاظ والكلمات عن جسد العربية بدعوى أنها غير عربية، استناداً إلى حججٍ ودعاوى واهيةٍ وغير صحيحةٍ في نبذ وترك ورفض لغة عرب كثيرين بذرائع من مثل: قرب هؤلاء العرب من الفرس والهند والرومان والنبط من خلال العلاقات التجارية ... واشترطوا شرطين يُعدَّان ذريعتين واهيتين في الصحة اللغوية العربية، وهما: التبدِّي العميق، والقرب من قبيلة قريش (علماً أن لغة قريش هي التي تتضمن تلك الألفاظ والكلمات غير العربية، وقد تعرَّبت على لسانها، فأصبحت هي هي العربية المعترفة بها من لدن القرآن الكريم الذي نزل بها)، وأن كل ذلك إنما يأتي في موقف تحدّ واضحٍ للقرآن الكريم. فقدنزل القرآن الكريم بلغة العرب، ولغة العرب حين نزل القرآن كانت لغة مكتملة ناضجة كاملة مفهومة لدى كل العرب، وهي مستعملة من قِبلها ... نعم، نزل القرآن بتلك اللغة، واللغة تلك تتضمن مئات الألفاظ المستقرضة والمقتبسة من الأقوال من الملل والشعوب التي كانت العرب جارة لها، وتختلط بها ومعها، فأخذت تلك الألفاظ والكلمات الدخيلة، فأصبحت ألفاظاً أشقاء من أبوين صحيحين للعربية، فكيف بأحدٍ أن يجرؤ على فصل تلك الكلمات والألفاظ عن روح وجسم العربية، في الوقت الذي صارت تلك الألفاظ والكلمات ملكاً للعربي والعربية يفهم ويتفاهم بها ...

إن العرب ليست أُمَّةً منزوية وقابعةً بالجزيرة، ولا لغتها كذلك، فلولاها لما استطاعت أن تتفاعل مع العالم الذي كان يحيط بها، ولذلك فإنه كان لابد من أن تستقرض من الكلمات والألفاظ من لغات الأمم الأخرى

لأنه ليست لديها من الألفاظ للدلالة على مسميات كثيرة التي كانت تتعهدها فتفتقر إليها، وذلك نظراً لعدم وجود مسميات كثيرة وقد ظهرت للوجود في لغتها الغنية والوسيعة، ولكنها وهي موجودة في غيرها من لغات الأمم المجاورة وعالمها المعاصر، والتي تُعدُّ تلك المسميات سواء ماديات أو معنويات من ضرورات الحياة المستجدة والمستحدثة، والتي تلازم الحياة المتغيرة على الدوام، والمستحدثة على البشر، لأن حاجات البشر المتغيرة تستوجب أن

يجد لها البشـــــــر أسماء وعناوين، ولكن تلك المسميات لم تلد بعد، ولم تُستحدث في بيئتها، وإنما ظهرت إلى الوجود الحياتي المستخدم والمستعمل في بيئات وأوطان أخرى، ومعلوم أن كل مولود ومستحدث في أي بيئة لابد أن تتسمى بألفاظ مجتمع الناس لذلك الموطن أو البيئة.

إذن، فها هو القـــــرآن جاء باللغـــــة التي كانت العرب تتكلم بها على المساحة المترامية الأطراف لبيئة العربي والوطن العربي ....

نعم، جاء القرآن بلغة العرب، لغة العرب التي أخذت من لغات الأمم الأخرى من: فارس، و روم، و حبشة، واليمن ... حتى أصبح مفهوماً لدى العرب الذين نزل إليهم هذا الكتاب ....

القـــــران لم يأت ولم يتنزل بلغة العرب الفصحاء الأصحاء المنزويين في أعماق الصحراء، الذين لم يكونوا يعرفون من أنمـــاط الحياة الأخرى التي كانت تجري في عوالم أخرى المحيطة بهم، أي على الأطراف المترامية للجزيرة وما حولها، سوى ألفاظهم البدوية التي تنحصر في أساليب العيش البدوي فقط ...!

من هنا، فإنه ليست هناك لغة ما في الأرض قاطبة، قديمها وحديثها، تستوعب ألفاظ كل مفاهيم الحيـــاة بلغتها وفي لغتها، وتوفر وتقدم ألفاظاً وكلمات للمسميات الحياتية: ماديات ومعنويات، بل لابد من أن تستعين بلغات أخرى، تستقرض منها ألفاظاً وكلمات كثيرة ...لماذا؟ لأن ممارسة الحياة، وأنماط الحياة، و استحداث أساليب الحياة المتنوعة،تجري في حياة مجتمعات أخرى مختلفة في الأرض، إذن فلابد من استقبال ألفـــــاظ ومفردات من لغاتها في استخداماتها المختلفة ... لأن هناك فراغـــــات وفجوات لغاتية في المساحة اللغوية في المفردات، وفي المصطلحات، وفي التعابير هنا، وهي ما هي موجودة في أخرى ... وهكذا يكون تلاقي اللغـــات فتُكْمَلُ هذه بأخرى، وتتلاحم مفاهيم اللغات ومعانيها في الأمـــم، فينسجم المكوك والنَّوْلُ في النَّسج والنسيج اللغوي العام للأمم ... فتتعابرُ المفاهيم والأنماط اللغاتية من هنا وهناك، فيسهل بذلك تفاهم الأمم فيما بينها ... فهناك يكون توحيد للمعاني التي تعبر عن الإحساس اللغاتي الإنساني على المستوى البشرى قاطبة.

٥-الاستقراض اللغوي

إنها حركة طبيعية للعربية، ولكل لغـــات البشر قديماً وحديثاً، أن تستقرض لغةٌ ما من لغةٍ ما كلمـــاتٍ وألفاظاً ومصطلحاتٍ، وذلك لأسباب كثيرة منها:

أولاً: إنه إثبات بأن أصل كل اللغات من مصدر واحد: وهو الله تعالى الذي علَّم آدم الأســـماء كلها، فلولا ذلك لما استطاعت لغةٌ ما قبول كلمـــات لُغَةٍ ما، فمـــادة اللغة في جوهرها وبنائها هي هي واحدة، ولكن الصوت والنطق والأداء والإشارة والإيماء، والإستعمال والدلائل والطبائع البشرية ... وغيرها من العناصر هي التي تتفرع بها وتتشعب بها وتُنوِّعُها ...لأن كلها تتلاقى في المعاني، فالمعاني واحدة، والألفـــــاظ هي التي تختلف وتتنوَّع باختلاف اللغات وتنوُّعها ...

ثانياً: ومنها جمـــــــال لغة ما من حيث موسيقى اللغة، ســـواء في الكلمات والمصطلحات مفردةً، أو في العبارات والجمل الجميلة، و مِنْ ثَـــمَّ الأداء اللغوي من لدن أصحابها، وكذلك الدلالات اللغوية، كل ذلك يؤثر في مشاعر وأحاسيس أبناء لغة أخرى، فتقبلها لغتهم، وتصير مفردات للغتهم بمرور الزمن ...

ثالثاً: ومنها امتلاك لغـــــة ما لكلمات ومفردات دالَّةٍ على معانٍ وعبارات لغوية مُهمَّةٍ وحسَّاسة ونادرة، وعدمها عند لغة أخرى، فإن ذلك يؤدي إلى أن تستقرض لغةٌ ما من غيرها من اللغات ...

رابعاً: ومنها إمكانية قوة لغة أُمَّةٍ ما في إظهار إبداعات كثيرة في مجالات حياتية وعلمية وفنية وغيرها ... مما يؤدي

إلى توليد ألفـــاظ وكلمـــات جديدة من مخزونها اللغوي الـثّرّ، وهو ما يؤدي إلى أن تنتقل كلمـــات ومفردات إلى لغة أخرى، وتستقبلها استقبالاً حافلاً، بل وتتلقفها، وأدخلها في معجمها اللغوي ...

خامســـاً: التذوق الفــــــردي اللغـــوي للكلمـــات الأجنبية، والتي لها صدىً في أذن ونفس المتلقي (العربي وغيره)، فتتلهف نفسه لأن تستقبل، تلهفاً شديداً في التلقي للفظة أو الألفاظ، وتجد لها منفذاً في أن يُدخلها لغته .... وهذا الأمر لايتوقف على القلائل من الأفراد، بل لاشك أن هناك نفوساً أخرى كثيرة ومتعددةً تتجاوب مع الحالة، فتتذوق سوياً ذلك المذاق اللغوي للألفاظ الأجنبية، فتتقبلها، فتدخل بذلك إلى لغة الأم، و بمرور أجيال تستقرّ تلك الألفـــــــاظ في معجم اللغة، بعد استقرارها في نفوس المتكلمين، مع بعض التحويرات اللغوية من حيث الصوت والصورة، وحذفٍ لحرف أو حروف للكلمة حتى تتطبع بالطابع الفطري للغة الأم ...

سادســـاً: ومنها الفــــراغ اللغوي ... حيث يحدث ذلك حين تتوارد ألفاظ وكلمات ومصطلحات من هنا وهناك من لغـــات شتى في الدنيا قديماً وحديثاً، وذلك نتيجة لتفاعل أصحاب اللغات المختلفة مع مواقف الحياة المختلفة في شتى الجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والعلمية واللغوية والنفسية والصناعية والزراعية والتجارية وغيرها وغيرها ... فيأتون بمصطلحات وألفاظ جديدة تعبيراً عن المستجدات في الألفـــــاظ في شتى المناحي، حينها تجد لغةٌ ما نفسها أمـــــام تحدّ لغــويّ صريح صـــارخ، وتحاول أن تجد (أي أن أصحابها يحاولون) لفظةً من عندها في مقابل ترجمة كلمة أو مصطلح وارد من لغة مقابلة، لأن نتـــاج هذا المصطلح أو اللفظة الدالة على المعنى المقصود في اللغـــة المُنتجة للمصطلح، قد أحدث فـــــراغاً لغويـــــاً هنا في اللغـــة المقابلة، إذن فلابد من ملء هذا الفراغ اللغوي، وهنا تجد اللغة نفسها مضطرة إلى أن تبتدع، وتاتي بكلمة أو مصطلح من مخزونها اللغوي الأصيل، فإن لم تجد، فلابد من أن تقبل وترضى - ولو بإكـــــراه - بالمصطلح الأجنبي مع بعض التحويرات الصوتية والحرفية والأدائية في الكلمة بحســـب مقتضيات الطبيعة اللغوية للأمة، وهذا أمر تفرضه طبيعة الحياة، لأنه ليس بالإمكان التنحي عن الإستجابة اللغوية لملء هذا الفـــــراغ اللغوي، لأنه ستبقى اللغة ناقصة التفاعل مع طبائع الأشياء ... وطبائع الحياة، وستكون اللغة مكتوفة اليدين تُجــــاه مئات الألفاظ التي تلد وتتوارد باستمرار من هنا وهناك في اللغات المختلفة الأخرى ...

ســـــابعاً: الحاجة الحضارية، فالبشـرية لا تتوقف لحظة، ترنو دائماً للأمـــــام، وتحاول أن تجد آفاقاً جديدة تخطو صوبها وتصنع حيـــاة جديدة، وهذه الحياة الجديدة تحتــــاج إلى وســـــائل جديدة، وأساسها اللغة، فمع كل جديد في الحياة تتولد ألفاظ جديدة، وعبارات معاصرة للمستجدات، والمجتمعات البشرية تتلقف المستجدات من النتاجـــات وأسمائها، وتدخلها في معجماتها اللغوية، تصقلها وتُجري لها تحويرات في ظواهرها وبواطنها، حتى تكون مقبولة سلسة مستساغة، إنها حاجـــة حضارية مُلحَّة لايمكن الفكاك منها، وإلا ستكون التخلف والتأخر عن الركب الحضاري، وهذا ما يكون مخالفةً للسنة الكونية في الحياة والحضارة ....

ومن هنا، فإذا استردنا الألفاظ غير العربية من معجم العرب، والتي دخلت لغتهم عبر الأزمان والدهــــور، فإن العربية تصبح لغة ناقصة، وأن العــرب لاتدري كيف تملأ تلك الفراغات اللغوية التي لاسبيل إلا لإجرائها، لأن الألفاظ الدالة على المجردات أو المعنويات لم تكن من بنات أفكار العرب، ولا أنها ولدت في بيئة العـــرب، إذن فلا سبيل إلى اختراع الكلمات والألفــــــــاظ من فراغ، لتحِلَّ محل الكلمات المستوردة والمستقرضة من الشعوب الأخرى من: فـــارس والحبشة والروم والنبط والهند وغيرهـا من الشعوب والملل الأخرى ... وهذا ما يؤكده العلمــــــاء عند الحديث عن هذا الموضوع، في أنه لاسبيل إلى إحلال كلمات عربية محل الكلمات الغير العربية التي دخلت العربية بمرور الزمـــان، (وإن وضعت كلمـــات لإحلال الكلمات، فإنها لاتؤدي صحة المعاني لتلك الكلمات الغير العربية) وقد

كانت العربية في حاجة ماسة إليها، وإلا كانت هناك فراغات لغوية، ومادامت العرب ليست في إمكانها الإتيان بها نظراً لعدم تملك مسميات تلك الكلمات والألفاظ في معجمها اللغوي الفطري، يقول مصطفى عبدالقادر المغربي: " وشأن التعريب في زمن بداوة اللغة العربية ... من حيث حصوله على ألسنة التجار والمستبضعين، لا على ألسنة الشعراء أو الخطباء المفوهين. فأصحاب المعلقات مثلاً كانوا يسمعون خلطاءهم يتكلمون بكلمات أعجمية، اتصل معظمها بهم من التجار الذين ألْفَوا رحلات الشتاء والصيف إلى بلاد الروم والفرس وغيرهما، فاستبضعوا المسميات بأسمائها وجلبوها معاً إلى جزيرتهم، ثم استعمل أصحاب المعلقات وسائر البلغاء تلك الكلمات في كلامهم من دون نكير، ومن دون أن يعاب ذلك الكلام فينزل عن درجة فصاحته وبلاغته". (عبدالقادر بن مصطفى المغربي: الإشتقاق والتعريب:٤٧)(٧٩)

ومن المعلوم أن المعاني هي التي تُخرج الألفاظ والكلمات والمصطلحات إلى الوجود، أي:أن الألفاظ والكلمات لا تأتي من فراغ، وهي ليست قوالب جوفاء مفرغة وخالية من الأغراض ... وإنما الألفاظ والكلمات قوالب للمعاني، وهي تتجسَّدها وتُبديها للعيان، وترشد الإنسان إلى استعمالها واستخدامها في مجالات الحياة المختلفة ...

واللغات بصورة عامة، ومنها العربية، تكون مزدانة وجميلة، حين تقبل ألفاظ لغات الأمم الأخرى، لتدل على أن هناك تجاوباً حضارياً إنسانياً بشرياً، كله ملءٌ للإحساس الدفين العميق بين الثقافات المختلفة ....

فيخلقُ شعورٌ بالوحدة الثقافية للأمم، وبأن مصادر اللغة واحدة نابعة من المشاعر العالية للأمم، تتقارض فيما بينها كلمات وألفاظاً من هنا وهناك ... يوحي ذلك بأنه متى كانت لغة ما تحتاج إلى لفظة أو كلمة وهي لاتملكها، تُسعفها لغة أخرى بلفظة من عندها، وبذلك تكتمل الصورة اللغوية المثالية العليا على مستوى البشرية كلها .

فإذا تجرأنا أن نسترد الألفاظ الغير العربية من العربية، فيحدث بذلك فراغاً لغوياً تصبح العربية لغة عرجاء، لاتُلبِّي المطالب اللغوية والحاجات الحياتية ... ومن جهة أخرى، فماذا نفعل بالقرآن الكريم الذي ورد في آياته المباركات عشرات الألفاظ الغير العربية، وهو بلسان عربي مُبين .. ؟! وقد أشار بصورة واضحة الباحث: عبدالقادر المغربي في كتابه القِّيم: (الاشتقاق والتعريب) إلى هذه الحالة ...

وقد حسَّن الدكتور صبحي الصالح (د. صبحي الصالح: دراسات في فقه اللغة:١٤)(٨٠) ما استحسنه المغربي التعريب، في: (الإشتقاق والتعريب)، حين يقول: " ولما نزل القرآن - وهو المعجز - تضمَّن كثيراً من تلك الكلمات الأعجمية التي أدخلها عامَّة العرب مع بضائعهم، وصقَّلها بلغاؤهم وشعراؤهم بألسنتهم، حتى أصبحت بذلك فصيحةً كسائر فصيح كلامهم، ولم ينزل بها القرآن عن درجة بلاغته، ولم تُفارقه مزيَّة إعجازه، فكان فيه من الفارسية: أباريق، وسِجِّيل وإستبرق. ومن الرومية: قسطاس، وصراط، وشيطان، وإبليس. ومن الحبشة: أرائك، وجبْت، ودُرِّيّ، وكِفْلَيْن. ومن السريانية: سرادق، ويَمّ، وطُور، وربَّانيُّون. ومن الزنجيَّة: حَصَبُ، وسَريّ. ومن العبرانية: فُوم. ومن التركية القديمة: غَسَّاق. ومن الهند: مشكاة (للكوة التي لاتنفذ). ومن القبطية: هَيْتَ لَكَ. وليس هذا كل ما في القرآن من الكلمات الأعجمية، بل إن فيه كثيراً منها، وقد تتبعها السيوطي فبلغت زهاء مئة كلمة" (عبدالقادر بن مصطفى المغربي:الاشتقاق والتعريب:٤٧-٤٨)(٨١)

نعم، فقد أدرك العلماء في القرون التوالي لنزول القرآن الكريم ، بوجود مُعَرَّبات كثيرة في القرآن الكريم ، بالرغم من خلافات بين مؤيد ومعارض، وقد نطق بها العرب قاطبة، وخاصة قريش التي نزل بلسانها القرآن العظيم ...

ومن هنا ندلف إلى السيوطي، ونتابع ما جمعه وأوضحه من الألفاظ غير العربية الواردة في القرآن الكريم، في كتابه الموسوم بـ [المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب].

فقد أورد مائة وسبع عشرة لفظة غير عربية، وهي واردة كلها في القرآن الكريم، وقد خاطب الله سبحانه بها العرب حين أنزله، والعرب كانوا على علم مسبق بمعاني تلك الألفاظ، لأنهم تداولوها في أحاديثهم وأدبياتهم وأشعارهم، بل أصبحت تلك الألفاظ ألفاظاً من صلب المفردات اللغوية العربية، بالرغم من أنها معرَّبة على مرِّ الزمان.

عنوان الكتاب دليل قاطع بوجود كلمات غير العربية في القرآن الكريم، لكنها قد تعرَّبت، وصارت عربية كأمثالها من الكلمات الأصل الأصيل للعربية، وهي بمرور الأزمان والدهور صارت عربية، وأصبحت ملكاً صرفاً للمعجم العربي، والفرد العربي، وللمجتمع العربي قاطبة.

إن الحالة هذه، تُعدُّ حركة طبيعية للعربية، ولكل لغات البشر قديماً وحديثاً أن تستقرض لغةٌ ما من لغة ما، كلماتٍ وألفاظاً لأسباب حياتية حضارية كثيرة، وقد ذكرنا طرفاً منها آنفا....

أورد السيوطي في مقدمة كتابه، آراء علماء كثيرين من حيث الرفض والقبول، والسلب والإيجاب، لنفي المعرَّب في القرآن و وجوبه... يقول: " هذا الكتاب تتبعت فيه الألفاظ المعربة التي وقعت في القرآن الكريم، مستوعباً ما وقفت عليه من ذلك، مقروناً بالعَزْوِ والبيان، وعلى الله الإعتماد، وإليه أضرع في الهداية إلى طريق السداد ". (السيوطي: كتاب المهذب فيما وقع في القرآن من المعرَّب:٥٧)(٨٢)

ثم يعرض في المقدمة اختلاف الأئمة الكثيرين في وقوع المعرب في القرآن، فيذكر من هؤلاء الكثرة من العلماء بقوله: " اختلف الأئمة في وقوع المعرب في القرآن، ومنهم: الشافعي، وابن جرير، وأبوعبيدة، والقاضي أبوبكر، وابن فارس ... على عدم وقوعه فيه لقوله تعالى: [قُرْآناً عَرَبِّياً] (يوسف:٢)(٨٣)، وقوله تعالى:

[وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيّاً لَقَالُوا لَوْلاَ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ] (فُصِّلت:٤١)(٨٤)

ويقول السيوطي أنه: "شدَّد الشافعي النكير على القائل بذلك" (المهذب فيما وقع في الفرآن من المعرب:٥٨)(٨٥).

ويورد السيوطي أقوال علماء آخرين: " وقال أبو عبيد: إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين، فمن زعم أنه فيه غير العربية فقد أعظم القول" (نفسه:٥٨)(٨٦). ثم ما قاله ابن فارس:" لو كان فيه من غير لغة العرب شيء، لَتَوَهَّم مُتَوَهِّمٌ أن العرب إنما عجزت عن الإتيان بمثله، لأنه أتى بلغات لايعرفونها " (نفسه:٥٨)(٨٧). وما قاله ابن جرير: "ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره، من تفسير ألفاظ القرآن أنها: بالفارسية أو الحبشية أو النبطية أو نحو ذلك، إنما اتفق فيها توارد اللغات، فتكلمت بها العرب والفرس والحبشة بلفظ واحد " (نفسه:٥٨)(٨٨).

وينقل السيوطي بأنه: " قال آخرون: كل هذه الألفاظ عربية صرفة، ولكن لغة العرب متسعة جداً، ولا يبعد أن تخفى على الأكابر الجلّة، وقد خُفي على ابن عباس رضي الله عنهما معنى فاطر " (نفسه:٥٩)(٨٩) ويورد ما " قال أبو المعالي عزيزي عبدالملك: إنما وجدت هذه الألفاظ في لغة العرب، لأنها أوسع اللغات وأكثرها ألفاظاً، ويجوز أن يكونوا سبقوا إلى هذه الألفاظ " (نفسه:٥٩)(٩٠) .

لاشك أن هؤلاء العلماء الذين أورد السيوطي أقوالهم وآراءهم، لم يحلفهم الحظ في الوصول إلى الحقيقة اللغوية الناصعة، بوقوع المعرب في القرآن الكريم ...!

وأما في الجانب الآخر، فقد أورد السيوطي أقوال وآراء علماء آخرين، أقرُّوا بوجه أو بآخر، وبأساليب متعددة بوقوع المعرب في القرآن الكرم ...

فيقول السيوطي في مقدمة كتابه: " وذهب آخرون إلى وقوعه فيه، وأجابوا عن قوله تعالى: [قُرْآناً عَرَبِيّاً] بأن الكلمات اليسيرة غير العربية لاتخرجه عن كونه عربياً، فالقصيدة الفارسية لاتخرج عنها بلفظة فيها عربية. وعن قوله: [ءَ أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ] أن المعنى من السياق: أكلام أعجميٌّ ومخاطب عربيٌّ.

واستدلوا باتفاق النحاة على أن منع صرف نحو: إبراهيم للعَلمية والعُجمة. ورد هذا الإستدلال بأن الأعلام ليست محل خلاف،فالكلام في غيرها موجه بأنه إذا اتفق على وقوع الأعلام فلا مانع من وقوع الأجناس" (نفسه:٥٩، ٦٠)(٩١)

وينقل السيوطي أقوال العلماء الذين يُقرون بوقوع المعرب في القرآن الكريم، بأنه: " وقال غيره: بل كان للعرب العاربة التي نزل القرآن بلغتهم بعض مخالطة لسائر الألسنة في أسفار لهم، فعلَّقت من لغاتهم ألفاظ غيرت بعضها بالنقص من حروفها، واستعملتها في أشعارها ومحاوراتها، حتى جرت مُجرى العربي الفصيح، و وقع بها البيان، وعلى هذا الحد نزل القرآن" (نفسه:٥٨،٥٩)(٩٢)

ويُصرِّح السيوطي رأيه في هذا الموضوع بوقوع المعرب في القرآن، استناداً إلى آراء علماء معتبرين في العربية، فها هو يقول: " وأقوى ما رأيته للوقوع - وهو اختياري - ما أخرجه ابن جرير، قال: حدثنا ابن حميد، حدثنا يعقوب القمي عن جعفر ابن أبي المغيرة، عن سعيد عن جبير، قال: (قالت قريش: لولا أنزل هذا القرآن أعجمياً وعربياً، فأنزل الله: [لَوْلاَ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ] فأنزل الله بعد هذه الآية القرآن (بكل لسان فيه) [حِجَارَةٍ مِن سِجِّيلٍ] فارسية " (نفسه:٦٠)(٩٣)

" وقال: (والحديث مازال لابن جرير): حدثنا محمد بن بشار، حدثنا عبدالرحمن بن مهدي، حدثنا إسرائيل عن إسحق، عن أبي ميسرة، قال: (في القرآن من كل لسان). وقال ابن أبي شيبة في مصنفه: "حدثنا عُبيدالله عن إسرائيل عن أبي إسحق عن أبي ميسرة، قال:(أنزل القرآن بكل لسان)." (نفسه:٦١)(٩٤)

يقول السيوطي:((ونقل الثعالبي - رحمه الله تعالى - عن بعضهم، قال: " ليس لغة في الدنيا إلا وهي في القرآن " (نفسه:٦١)(٩٥) ويقول السيوطي معلِّقاً: " فهذه إشارة إلى أن حكمة وقوع هذه الألفاظ في القرآن، أنه حوى علوم الأولين والآخرين، ونبأ كل شيء، فلابد أن تقع فيه الإشارة إلى أنواع اللغات والألسن، لتم إحاطته بكل شيء، فاختير له من كل لغة أعذبها وأخفَّها وأكثرها استعمالاً للعرب " (نفسه:٦١-٦٢)(٩٦)

ويقول أيضاً: " ثم رأيت أن النقيب صرَّح بذلك، فقال في تفسيره: (من خصائص القرآن على سائر كتب الله المنزلة، أنها نزلت بلغة القوم الذين أنزلت عليهم، لم ينزل فيها شيء بلغة غيرهم. والقرآن احتوى على جميع لغات العرب، وأنزل فيه بلغات غيرهم من الروم والفرس والحبشة شيء كثير " (نفسه:٦٢)(٩٧)

ويقول: (قلت: وأيضاً فالنبي - صلى الله عليه وسلم - مُرسلٌ إلى كل أمة وقد قال تعالى: [وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ] . فلابد وأن يكون في الكتاب المبعوث به من لسان كل قوم، وإن كان أصله بلغة قومه هو)) (نفسه:٦٢) والآية: (٤) سورة: إبراهيم(٩٨)

إلى هنا لايتوضح موقف ومذهب السيوطي بصورة واضحة حيال وقوع المعرب في القرآن، لأن الإشارة إلى وقوع المعرب في القرآن، من أن القرآن حوى ويحوي أنواع اللغات والألسن، أو أنه يقول بأن القرآن احتوى على جميع لغات العرب، وأنزل بلغات غيرهم من الروم والفرس والحبشة شيءٌ كثير ..كل ذلك إشارات عابرة..

ولكن مذهبه في هذا الأمر يتوضح حين يقول: " وقد رأيت الجويني ذكر لوقوع المعرب في القرآن فائدة أخرى فقال: " إن قيل: إن إستبرق ليس بعربي، وغير العربي من الألفاظ دون العربي في الفصاحة والبلاغة، فنقول: لو اجتمع فصحاء العالم، وأرادوا أن يتركو هذه اللفظة، ويأتوا بلفظة تقوم مُقامها في الفصاحة لعجزوا عنها ... إلى أن يقول: (أي الجويني): " وذلك: إستبرق، فإن أراد الفصيح أن يترك هذا اللفظ ويأتي بلفظ آخر لم يمكنه، لأن ما يقوم مُقامه: إما لفظ واحد، أو ألفاظ متعددة، ولايجد العربي لفظاً واحداً يدل عليه، لأن الثياب من الحرير عرفها العربي من الفرس، لم يكن لهم بها عهدٌ، ولا وضع في اللغة العربية للديباج الثَّخين اسم، إنما عرَّبوا ما سمعوا من العجم، واستغنوا به عن الوضع

لِقلَّة وجوده عندهم، ونُدرة تلفظهم به. وأما أن ذِكْرَهُ بلفظين فأكثر، فإنه يكون قد أدخل بالبلاغة، لأن ذكر لفظين لمعنىً يمكن ذِكْرُهُ بلفظ طويل، فعلم بهذا أن لفظ إستبرق يجب على كل فصيح أن يتكلم به في موضعهن ولايجد ما يقوم مُقامه، وأي فصاحة أبلغ من ألاَّ يوجد غيرُهُ مثله " (نفسه:٦٥،٦٤،٦٣)(٩٩) .

هنا وضُحت المسألة، بعد إيراد السيوطي لِما قاله الجويني بصدد المعرب، و وقوعه في القرآن الكريم ...

والمسألة تكون أوضح، حين يذكر السيوطي مذهب أبي القاسم بن سلاَّم، فينقل السيوطي:" وقال أبو عبيد القاسم بن سلام بعد أن حكى القول بالوقوع عن الفقهاء، والمنع عن أهل العربية: (والصواب عندي مذهب في تصديق القولين جميعاً، وذلك أن هذه الأحرف أصولها أعجمية، كما قال الفقهاء، لكنها وقعت للعرب فعرَّبتها بألسنتها، وحوَّلتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربية، ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب، فمن قال إنها عربية فهو صادق، ومن قال إنها أعجمية فصادق) " (نفسه:٦٥)(١٠٠)

ثم يختم السيوطي كلامه بهذا الصدد عقب إيراد قول ابن سلاَّم بقوله: " وهذا هو الذي جزم به ابن جرير، ومال إلى هذا القول الجواليقي، وابن الجوزي وآخرون" (نفسه:٦٥)(١٠١)

هكذا أوضح السيوطي مذهبه ومذهب العلماء الآخرين بوقوع المعرب في القرآن الكريم، وأقرَّ - استناداً إلى أقوال علماء أفذاذ في اللغة العربية - بأنه وقع في القرآن المعرب من الألفاظ، وهذا ليس منقصة للعربية ولا لأهلها، بل إنها دليل الحيوية والحياة، والحركة المستمرة للغة العربية ...

ولكن الأهمَّ من كل ذلك ما ذهب إليه السيوطي، هو إيراده ما قاله الجويني، يقول السيوطي: " وقد رأيت الجويني ذكر لوقوع المعرَّب في القرآن فائدة أخرى، فقال: (إن قيل: إن إستبرق ليس بعربي، وغير العربي من الألفاظ دون العربي في الفصاحة والبلاغة، فنقول: لو اجتمع فصحاء العالم، وأرادوا أن يتركوا هذه اللفظة، ويأتوا بلفظة تقوم مُقامها في الفصاحة لعجزوا عنها، وذلك لأن الله تعالى إذا حثَّ عباده على الطاعة، فإن لم يُرَغِّبْهُم بالوعد الجميل، ويُخَوِّفْهُم بالعذاب الوبيل، لايكون حثُّهُ على وجه الحكمة، فالوعد والوعيد نظراً إلى الفصاحة واجب. ثم إن الوعد مما يُرَغَّبُ فيه العقلاء، وذلك ينحصر في أمور: الأماكن الطيبة، ثم المآكل الشهية، ثم المشارب الهنيئة، ثم الملابس الرفيعة، ثم المناكح اللذيذة، ثم ما بعده مما يختلف فيه الطباع ... وأما الحرير، فكلما كان ثوبه أثقل كان أرفع، فحينئذ وجب على الفصيح أن يذكر الأثقل الأثخن، ولا يتركه في الوعد، لئلاَّ يقصر في الحث والدعاء، ثم إن هذا الواجب الذكر إما أن يُذكر بلفظ واحد موضوعٍ له صريح، أو لايُذكر بمَثَلٍ هذا، ولاشك أن الذكر بلفظ الواحد الصريح أَوْلَى، لأنه أَوْجَزُ وأظهرُ في الإفادة، وذلك: إستبرق) " (نفسه:٦٥،٦٤،٦٣)(١٠٢)

وإكمالاً لهذ الموضوع ، وقبل أن أعرض كتاب السيوطي، أرى من الضروري عرض أشارة عابرة إلى الجواليقي ٤٦٥هـ - ٥٤٠هـ، في كتابه:{ المعرَّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم }، وأتفادى التفصيل ، لأنه كتاب معجم معتبر، تناول المعرَّبات بالتفصيل على حروف المعجم العربي، وأكتفي بعرض كلمات معدودة على بعض الأحرف ... قد تكون إكمالاً لما عند السيوطي في كتابه ...

*باب الهمزة:التي تسمى: الألف: الإستبرق:غليظ الديباج. فارسي معرَّب. وأصله: (اسْتَفْرَهْ)(المعرّبَ من الكلام الأعجمي على حروف المعجم: ١٠٨ }(١٢٧) (وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ .الكهف: الآية:٣١

* حرف الباء : البستان: فارسي معرب ، حيث أن أصله : بوستان بالفهلوية. وهو مركب من: بو: أي الرائحة. و ستان: لاحقة تفيد الزمان والمكان . (نفسه ١٦٠) (لم ترد الكلمة في القرآن الكريم ، إلا أن العرب تستعملها)

* حرف التاء : ابن دريد: التَّنُّورُ: فارسي معرب. لا تعرف العرب اسماً غير هذا. فلذلك جاء في التنزيل، لأنهم خوطبوا

بما عرفوا. (نفسة: ١٢٩)(هود: الآية:٤٠) [حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ]

* حرف الدال: الدِّينار. فارسي معرب، وأصله : دِنَّار. وهو وإن كان معرباً، فليس تعرف له العرب اسماً غير الدينار. ولذلك ذكر الله تعالى في كتابه، لأنه خاطبهم بما عرفوا. (نفسه: ٢٩٠) (آل عمران:٧٥)

[وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْ مَنْهُ بِدِينَارٍ لاَيُؤَدِّهِ إِلَيْكَ]

*حرف السين: السُّندُسُ رقيق الديباج. ولم يختلف أهل اللغة في أنه معرب. (نفسه:٣٦١)(١٣١)

(الكهف: الآية:٣١) [وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِنْ سُنْدُسٍ ..]

* حرف الصاد : قوله تعالى: [وَصَلَوَاتٌ]، هي كنائس اليهود. وهي باالعبرانية: (صَلْوُتَا). (نفسه:٤١٩) (١٣٢) (الحج: الآية:٤٠)

* حرف الطاء:[الطور] . قال ابن قتيبة: الطور: الجبل . بالسريانية. [نفسه :٤٣٥] (١٣٣) (الطور: الآية:١) . (هَـذَا فَلْيَذُقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ).

* حرف الغين: [الْغَسَّاق]. البارد الْمُنْتِنْ. بلسان الترك.(نفسه:٤٦١)(١٣٤) (سورة:ص.الآية:٥٧) * حرف الفاء: [الفردوس]. أصله: روميّ، أُعرب. وهو البُستان . (نفسه: ٤٧٠) (١٣٥)

(الكهف:الآية:١٠) [إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً].

*حرف القاف:[الْقِسْطَاس]. الميزان. روميّ معرب. (نفسه:٤٨٨).(١٣٦) (الإسراء: الآية:٣٥)

[وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ].

حرف الميم: [الْمِسْك]. الطِّيبُ. فارسيٌّ معرب.وهو معرب : مُشْك. بالضم وسكون المعجمة.

(نفسه:٥٩٨) (١٣٧) [المطففين: الآية:٢٦] . [خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ].

والآن نراجع ما قدمه السيوطي، في عرض وبيان الكلمات والألفاظ غير العربية، التي وردت في القرآن الكريم، وقد جمعها بين دفَّتي كتاب، في مائة وسبعة عشر من الألفاظ، وقد كان للعرب العلم المسبق بمعاني هذه الألفاظ واستعمالاتها في أحاديثهم وأدبياتهم وأشعارهم، وقد خاطبهم بها القرآن هذه الأمة ... والكتاب هو: [المُهذَبُ فيما وقع في القرآن من المُعَرَّب].

وقد رأينا من المناسب أن نأتي بكلمةٍ واحدةٍ فقط، على ترتيب حروف الهجاء، كما جاء في الكتاب، للوقوف على ما نريد بيانه في هذا المجال ...

حرف الهمزة: [أَكْوَابٌ]، (حكى ابن الجوزي): أنها الأكواز بالنبطية. وقال ابن جرير: حدَّثت عن الحسين، سمعتُ (أبا مُعَاذ، أنبأنا عبيد، سمعت الضحاك يقول:) الأكواب: جرار ليست لها عُرىً، وهي بالنبطية: كوباً. (نفسه:٧٣)(١٠٣) [يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ .....] (الزُّخرف : الآية:٧١)

حرف الباء: [بَطَائِنُهَا]. قال شيدلة في قوله تعالى: [بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ] أي: ظواهرها بالقبطية، حكاه الزركشي. (نفسه:٧٧)(الرحمن: الآية:٥٤)(١٠٤)

حرف التاء: [تَنُّورُ]. ذكر ابن دريد، والجواليقي، والثعالبي: أنه فارسيٌّ معرَّب. (نفسه:٨٠)(١٠٥)

[... وَفَارَ التَّنُّورُ .....] (هود: الآية:٤٠ ــ ٤٣).

حرف الجيم: [جَهَنَّمُ]، ذهب جماعة إلى أنها: أعجمية، وقال بعضهم: فارسية معربة. (نفسه:٨١)(١٠٦)

الآية: [وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ] (البقرة: الآية:٢٠٦).

حرف الحاء: [حُوب]. (رويناه في أسئلة نافع بن الأزرق، أنه قال لابن عباس: أخبرني عن قول

الله تعالى: [إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً]، قال: إِثْماً كَبيراً، بلغة الحبشة. (نفسه:٨٥) (النساء: الآية:٢)(١٠٧)

حرف الدال: [دُرِّيّ]. قال شيدلة في البُرهان: " الدُّرِّيُّ: المُضِيءُ، بالحبشية ". وكذا قال أبو القاسم في: (لغات القرآن)، والواسطي في ((الإرشاد)). (نفسه:٨٧، ٨٨)(١٠٨) [... كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ...] (النور:الآية: ٣٥).

حرف الرَّاء: [رَهْو]. قال أبو القاسم في: (لغات القرآن): قوله تعالى: [وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْواً] أي: سهلاً دَمثاً. بلغة النَّبَط. قال الواسطي: أي: ساكناً. بالسريانية. (نفسه:٩٣) (الدخان:الآية:٢٤) (١٠٩)

حرف الزاي: [الزَّنْجَبِيل].(حكى الثعالبي في: فقه اللغة): أنه فارسيٌّ، وكذا الجواليقيّ. (نفسه:٩٤)(١١٠)

[.... كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِلاً](الإنسان:الآية: ١٧)

حرف السِّين: [سُجَّداً]. قال الواسطي في قوله تعالى: [وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً] أي: مُقْنِعِي الرؤوس بالسريانية. قال الجواليقي: ذكر بعض أهل اللغة: أنه بالسريانية. (نفسه:٩٥) البقرة:الآية: ٥٨)(١١١)

حرف الصاد: [صَلَوَات]. ذكر الجواليقي: أنها بالعبرانية: كنائس اليهود. وقال ابن أبي حاتم، حدثني عبدالعزيز بن منيب، حدثنا أبو معاذ الفضل بن خالد، حدثنا عبيد بن سليمان عن الضحاك، قال: صَلَوَات: كنائس اليهود، ويسمون الكنيسة: صَلُوتَا. (نفسه:١٠٧،١٠٨)(١١٢) (الحج: الآية:٤٠)

حرف الطاء: [الطُّور]. ((قال الفريابي: حدثنا ورقاء عن أبي نُعيم بن مجاهد، قال: الطُّورُ: الجبل. بالسريانية. وقال ابن أبي حاتم: أخبرنا أبو الأزهر أحمد بن الأزهر النيسابوري، حدثنا وهب ابن جرير، حدثنا أبي عن علي بن الحكم عن الضحاك، قال: النبط يسمون الجبل طُوراً)). (نفسه:١١٣،١١٤)(١١٣)

[وَالطُّورِ ...] (الطور: الآية:١).

حرف العين:[عَبَّدْتَّ].((قال أبو القاسم في:(لغات القرآن):في قوله تعالى:[أَنْ عَبَّدْتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ]. معناه: قَتَلْتَ. بلغة النَّبَط)) (نفسه:١١٦) (الشعراء: الآية:٢٢)(١١٤)

حرف الغين: [غِيضَ]. ((قال أبو القاسم في:(لغات القرآن): غِيضَ الماءُ: نَقُصَ. بلغة الحبشة.

وذكر مثله الواسطي.)) (نفسه:١٢٠)(١١٥) [.... وَغِيضَ الْمَاءُ ...] (هود: الآية:٤٤).

حرف الفاء: ١- [الْفِرْدَوْس]. ((قال ابن أبي حاتم، حدثني الحسن بن قيس، وقال ابن جرير، حدثنا الحسين، قالا: حدثنا الحجاج، حدثنا ابن جريج عن مجاهد، قال: الفردوس: بستان. بالرومية. وقال: حدثنا أبو زرعة، حدثنا الحجاج يحيى بن بكير، حدثني ابن لهيعة، حدثني عطاء عن سعيد بن جبير، قال: الجنة بلسان الرومية: الفردوس)). (نفسه:١٢٠)(١١٦) [.... لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً] (الكهف: الآية:١٠٧)

٢- [فُوم].((قال الواسطي: هي (الحنطة) بالعبرية.))(نفسه:١٢٣)(١١٧) [... وَفُومِهَا...] (البقرة: الآية:٦١)

حرف القاف:[الْقَيُّوم].(قال الواسطي:هو الذي لاينام.بالسريانية)(نفسه:١٣٤)(١١٨) [.. الْحَيِّ الْقَيُّومُ](البقرةالآية:٢٥٥).

حرف الكاف:[كَفِّرْ].((حكى ابن الجوزي،أن معنى:[كَفِّرْ عَنَّا]:أَمْحُ عَنَّا.بالنبطية)) (نفسه:١٣٥)(١١٩)

(آل عمران: الآية:١٩٣).

حرف اللام: [لِينَة].((قال الواسطي: هي النَّخْلَةُ. وقال الكُلْبيّ: لا أعلمها إلا بلسان يهود يثرب.)) (نفسه:١٣٩)(١٢٠)

[مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً ...] (الحشر: الآية:٥).

حرف الميم:١- [مَرْقُوم].((قال الواسطي في كتابه: الإرشاد،في قوله تعالى:[كِتَابٌ مَرْقُومٌ]،أي:

مَكْتُوبٌ. بلسان العبرية.)) (نفسه:١٤٣)(١٢١) (المطففين: الآية: ٩).

٢- [مَنَاص]. ((قال أبو القاسم في (لغات القرآن) والواسطي في (الإرشاد): معناه: فِرَارُ. بالنبطية.)) (نفسه:١٤٨)

(١٢٢) [.... وَلاَ تَ حِينَ مَنَاصٍ] (سورة ص: الآية: ٣).

حرف النون: [نَاشِئَة]. ((قال وكيع، حدثنا إسرائيل عن أبي إسحق، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، في قوله تعالى: [إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ]. قال: بلسان الحبشة، (إذا نشأ قام). وقال ابن أبي شيبة في (المصنف): حدثنا إسحق عن سليمان بن أبي سلمان، عن أبي إسحق، عن عمرو بن شرحبيل، عن عبدالله: [إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ]، قال: هي بالحبشية: قيام الليل. أخرجه في المستدرك. وقال الفريابيّ: حدثنا قيس عن أبي إسحق، عن سعيد بن جبير، في قوله: [إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ]: إذا قام من الليل، فهي بلسان الحبشة، نشأ فلان: قام في الليل.)) (نفسه:١٥٢)(١٢٣) (المزمل: الآية:٦).

حرف الهاء: [هَيْتَ]. ((قال ابن أبي شيبة، حدثنا الفضل بن دكين عن سلمة ابن شابور، عن عطية، عن ابن عباس: [هَيْتَ لَكَ]: هَلُمَّ لَكَ. بالنَّبطية. أخرجه ابن أبي حاتم. وقال أبو الشيخ إسحق بن إبراهيم، حدثنا أبو هشام الرفاعي، حدثنا وكيع عن النضر عن عكرمة: [هَيْتَ لَكَ]: هَلُمَّ لَكَ. بلسان الحورانية.)) (نفسه:١٥٦)(١٢٤) (يوسف: الآية:٢٣).

حرف الواو: [وَرَاءَ]. ((قال شيدلة في (البرهان): [وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ]. أي: أمامهم. بالنبطية

وكذا قاله أبو القاسم في: (لغات القرآن) (نفسه:١٥٨) (الكهف: الآية:٧٩). (١٢٥)

حرف الياء: [يَحُورُ]. (((قال ابن الجوزي: الحور: الرجوع. بلغة الحبشة). وروينا في أسئلة نافع ابن الأزرق، أنه سأل ابن عباس عن قوله تعالى: [إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ]. قال: أنْ لَنْ يرجع. بلغة الحبشة. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا نصر بن علي، حدثنا عبيد بن عقيل، حدثنا عباد بن راشدن حدثنا داود بن أبي هند، في قوله تعالى:[إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ].قال: بلغة الحبشة: يرجع. وقال: حدثنا أبو عبدالله الطبراني، أنبأنا أبو جعفر المدني، حدثنا الحكم بن أبان، عن عكرمة في قوله تعالى:[إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ]. أي:لن يرجع.ألا تسمع الحبش إذا قيل له:حَرْ إلى أهلك. أي إرجع إلى أهلك)) (نفسه:١٦١)(الإنشقاق: الآية:١٤)(١٢٦)

وقد أشار السيوطي إلى مصادر عدة في كتابه هذا، حيث تناول مؤلفوا تلك المصادر- وهم من العلماء - مسألة المعرب في القرآن الكريم، ومن هذه المصادر: فقه اللغة للثعالبي، والمعرب للجواليقي، والتفسير لكل من أبي حاتم، وابن حبَّان، والسمرقندي، والإرشاد للواسطي، وفنون الأفنان لابن الجوزي، والعجائب للكرماني، ولغات القرآن لأبي القاسم، والبرهان لشيدلة، والنظم لابن حجر، والمفردات للراغب، ودلائل النبوة لأبي نعيم، وكتاب الزينة لأبي حاتم اللغوي.

وفي القرن الحادي عشر الهجري، كتاب: [شفاء العليل فيما في كلام العرب من الدخيل] لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصرى الحنفي (٩٧٧هـ - ١٠٦٩هـ).

نعم إن القرآن الذي نزل هو كلام رب العالمين، يَعُدُّ تلك الألفاظ غير العربية الواردة في آياته الكريمات ألفاظاً عربية خالصة، مادامت العرب تكلمتْ وتتكلم بها، وعاملتها معاملة لغتها الفصيحة الصحيحة.

وإذا راجعنا كتب الحديث الشريف، نرى ونقرأ في كتاب: (مختصر البخاري للزَّبِيديِّ) أن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ، قد تحدث وتكلم بالحبشية، فقد جاء في : (باب: من تكلم بالفارسية والرَّطَانَةِ) عند الحديث ذي الرقم:١٢٨٣ : [عَنْ أُمِّ خالدٍ بنتِ سعيدٍ رضي الله عنها قالت: أَتَيْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم مع أبي، وعَلَيَّ قميصٌ أصفرُ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (سَنَهْ سَنَهْ)، وهي بالحبشية: حَسَنَةٌ، قالتْ: فذهبتُ ألعبُ بِخاتمِ النُّبُوَّةِ ، فزبرَني أَبي، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " دَعْهَا ". ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" أَبْلِي وَأَخْلِقِي، ثُمَّ أَبْلِي وَأَخْلِقِي، ثُمَّ أَبْلِي وَأَخْلِقِي"]

(الزَّبيدي:كتاب:مختصر البخاري:٢٤٤) (١٣٨)

وفي حديث آخر، وبصياغةٍ أخرى، في باب: هجرة الحبشة، عند الحديث، ذي الرقم:١٥٤٤:[عن أُمِّ خالدٍ بنتِ خالدٍ رضي الله عنها، قالت: قَدِمْتُ مِنْ أرضِ الحبشةِ وَأَنا جُوَيْرِيَّةٌ، فَكَسَانِي رسول الله صلى الله عليه وسلم خَمِيصَةً لَهَا أَعْلامٌ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح الأعلام بيده، ويقول: " سَنَاهُ سَنَاهُ " ، يَعْنِي: حَسَنٌ حَسَنٌ] (الزبيدي: كتاب: مختصر البخاري:٢٨٨) (١٣٩).

وفي حياتنا المعاصرة، ومنذ القرنين الميلاديين الماضيين تحديداً، تتعامل العربية مع المئات من الألفاظ الأجنبية في شتى صنوف المعرفة والعلوم، والتي سميت بها مئات الإختراعات والنتاجات العقلية والفكرية الباهرة ... ولا حول لها ولا قوة في قبولها، بالرغم من أن المجامع اللغوية العلمية العربية تضع وتصطلح مصطلحات شتى لها، إلا أنها لاتؤدي المصطلحات الموضوعة لمعاني تلك المسميات والأغراض إفادة تامة لدلالاتها، ولذلك فإنها لاسبيل إلا بالقبول للكثير منها بأسمائها ومسمياتها ...

واللغة، تسير قُدُماً ولا تتوقف .... تكثر مفرداتها وتتطور، تلبِّي مطالب الحياة المستجدة، تولد مفردات جديدة ، وتهمل مفردات انتهت أدوارها ودلالاتها ومعانيها نظراً لانتهاء الحاجات ودواعيها في الحياة، و حلَّت محلها حاجات و وسائل جديدة وحديثة، ولكن النحاة كانوا قابعين في صوامعهم العلمية اللغوية في التقعيد والتقنين على المجموع الذي حصلوا عليه في وقته حين جَمْعِهِم متون اللغة في استقراء ناقص للمفردات، ولذلك " تتسع الشقة بين اللغة الحية في حقيقتها وبين ما يعلمه النحوي، وذلك ما نشاهده في تأريخ اللغة العربية " (د. مراد كامل:دلالة الألفاظ العربية وتطورها:٣١) (١٤٠)

لقد انتهج علماء العربية نهجاً خاصاً بهم، في جمع المفردات ومواد اللغة العربية، وأنهم قد انقسموا إلى قسمين :

أولاً: اللغويون، وهم المتمسكون بمتون اللغة كما جاءتهم من عند العرب .

ثانياً: النحاة الذين أخذوا بِنُتَفٍ من المفردات والألفاظ، وبَنَوْا عليها القواعد المعيارية للنحو العربي، و كلا الجمعين يتحدث عنهم الباحثون في اتخاذهم منهج البحث اللغوي في فجر التقعيد اللغوي والنحوي للغة العربية، وذلك " أن اللغويين والنحاة إنما بنوا قواعدهم على كلام العرب بجمع نُتَفٍ نثرية وشعرية من هذه القبيلة ومن تلك، من أعرابي في الشمال إلى امرأة في الجنوب، ومن شِعرٍ يُعرفُ قائله إلى جملة غير منسوبة ..، يجمعون هذا إلى أقوال معروفة مشهورة، ويضعون قواعد تصدق على أكثر ما وصل إليهم بهذا الناقص(أي: الإستقراء الناقص)، الذي لا يستند إلى خطة محكمة في الجمع، ثم يُسدِّدون هذه القواعد بمقاييس منطقية يريدون إطرادها في الكلام، حتى إذا أتت بعضهم قراءة صحيحة السند تخالف قاعدته القياسية طعن فيها، وإن كان قارئها أبلغ وأعرب من كثير مِمَّنْ يَحْتَجُّ النحوي بكلامهم، فلا استقراؤه كامل، أو كافٍ، ولا لشواهده التي استند إليها بعض ما للقراءة الصحيحة من القوة، ولا اللغة تخضع للمقاييس المنطقية التي ابتدعها" (القياس اللغوي وأهميته في تطوير اللغة:٣٣)(١٣

هذه حقيقة منهج الأخذ اللغوي من لدن اللغويين ونحاة العربية، حيث خلطوا بين الصحيح والسقيم من الكلام كما يقول الباحث، وبين الصالح والطالح من القول مشهوره ومجهوله، معروفه وغريبه، وحتى القراءات القرآنية الصحيحة المتواترة عن الرسول صلى الله عليه وسلم، مع حسن السيرة للقاريء المعني بالقراءة، الذي لا ريب في قراءته، ولا روايته، لم تكن بِمَنْجَىً من الطعن فيها.. وهذا ما نجده واضحاً عند سيبويه شيخ النحاة في الكتاب، حيث أوضح ذلك جلياً الدكتور أحمد مكي الأنصاري في كتابه بعنوان:"سيبويه والقراءات، دراسة تحليلية معيارية " (كتاب سيبويه والقراءات، دراسة تحليلية معيارية)(١٤٢)، كيف أن سيبويه يتصدى للقراءات القرآنية بالطعن فيها مباشرة

وجهاراً، وغير مباشـــرة إيماءً وإيحاءً.. ! فكل ذلك كان مردوداً حسب منهج القيـــاس لدى هؤلاء المشتغلين في مجال التقعيد والأخذ اللغوي، وذلك " أن النحاة لما استقرؤا كلام العرب وجدوه على قسمين :

قســـــــــم، اشتهُر استعماله، وكثرت نظائره، فجعلوه قياساً مطرداً .

وقســـــــــم، لم يظهر فيه وجه القياس لقلَّته، وكثرة ما يخالفه، فوضعوه بالشذوذ، و وقَّفوه على الســـماع، لا لأنه غير فصيح، بل لأنهم علموا أن العـــــرب لم تقصد بذلك القليل أن يُقـــــــــاس عليه " (شاكر طوفان العيساوي: القياس اللغوي وأهميته في تطوير اللغة:٣٤)(١٤٣)

وإذا راجعنا التفسير للرازي، نجد وصفاً دقيقاً لمواقف الاضطراب الذي وقع فيه هؤلاء العلماء الأفاضل، فيقول فخر الدين الرازي: " إذا جوَّزنا إثبات اللغة بشـــــعر مجهول، فجواز إثباتها بالقرآن أَوْلَى، و كثيراً ما ترى النحويين مُتَحَيِّرين في تقرير الألفاظ الواردة في القرآن، فإذا استشهدوا في تقريرها ببيت مجهول فَرِحوا به، وأنا شديد التعجب منهم، فإنهم إذا جعلوا ورود ذلك البيت المجهول على وقفها دليلاً على صحتها،فلأن يجعلوا ورود القرآن دليلاً على صحتها كان أَوْلَى " (فخرالدين الرازي، تفسير،ج١٩٣/٣)(١٤٤)

ومن الضروري هنا أن نطلع على مصادر الأخذ اللغوي الذي اعتمد عليها العلمـــاء في المنهج اللغوي الذي اتخذوه في تأريخ البحث اللغوي العربي، حيث الإعتماد الأساس على الأخذ من قبائل معينة دون أخرى، ومما نقرأ في تأريخ هذا البحث اللغوي، أنه: " كانت قريش أجود العـــرب انتقادا للأفصح من الألفاظ، وأسهلها على اللســـــــان عند النطق، وأحسنها مسموعاً، وإبانة عما في النفس. والذين عنهم نُقلت اللغـــــة العربية، و بهمُ اقتدي، وعنهم أُخذ اللسان العربي من قبائل العرب هـــــــم: قيس، وتميم، وأسد، فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أُخذ ومعظمه، وعليهم أُتكل في الغريب، وفي الإعـــــراب والتصريف، ثم هُذيل، وبعض كنانة، وبعض الطائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم .

وبالجملة، فإنه لم يؤخذ عن حضري قط، ولا عن ســـــكان البراري، ممن يكن أطراف بلادهم التي تجاور سائر الأمم الذين حولهم، فإنه لم يؤخذ لا من: لخمٍ، ولا من جُذام، فإنهم كانوا مجاورين لأهل مصر والقبط، و لا من قضاعة، ولا من غسان، ولا من أياد، فإنهم كانوا مجاورين لأهل الشـــــام، وأكثرهم نصارى يقرؤون في صلاتهم بغير العربية، ولا من تَغْلِبَ، ولا النَّمِرَ، فإنهـــــم كانوا في الجزيرة مجاورين لليونانية، ولا من بَكْرٍ، لأنهم كانوا مجاورين للنبط والفرس، ولا من عبدالقيس، لأنهم كانوا سكان البحرين مخالطين للهند والفرس، ولا من أزد عُمـــــــــان لمخالطتهم للهند والفرس، ولا من أهل اليمن أصلاً لمخالطتهم للهند والحبشة ولولادة الحبشة فيهم، ولا من بني حنيفة وســـــــكان اليمامة، ولا من ثقيف وسكان الطائف لمخالطتهم تجار الأمم المقيمين عندهم، ولا من حاضرة الحجاز، لأن الذين نقلوا اللغـــــة، صادفوهم حين ابتدؤا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم، وفسدت ألسنتهم. والذي نقل اللغة واللسان العربي عن هؤلاء، وأثبتها في كتـــــاب، وصيَّرها علماً وصناعة: هم أهل الكوفة والبصرة فقط من بين أمصار العرب" (د. حاتم صالح الضامن:نقلاً عن: كتاب فقه اللغة:١٩-٢٠، السيوطي، عن: الإقتراح:١٩، السيوطي، عن:المزهر:ج٢١١/١) (١٤٥)

والخلاصة هي: أن القبائل المعتمدة في الأخذ اللغوي عنهم هي :

قريش قيس تميم أسد هذيل بعض كنانة بعض الطائيين

إذن فإن القبائل المعتمدة الرئيسة هي: خمس قبائل + بعض من كنانة وطيء.

أما القبائل والمجاميع التي اعتبرها العلمـــاء غير مقبولة ومرفوضة في المشروع اللغوي، هي ثماني عشرة قبيلة و جهة :

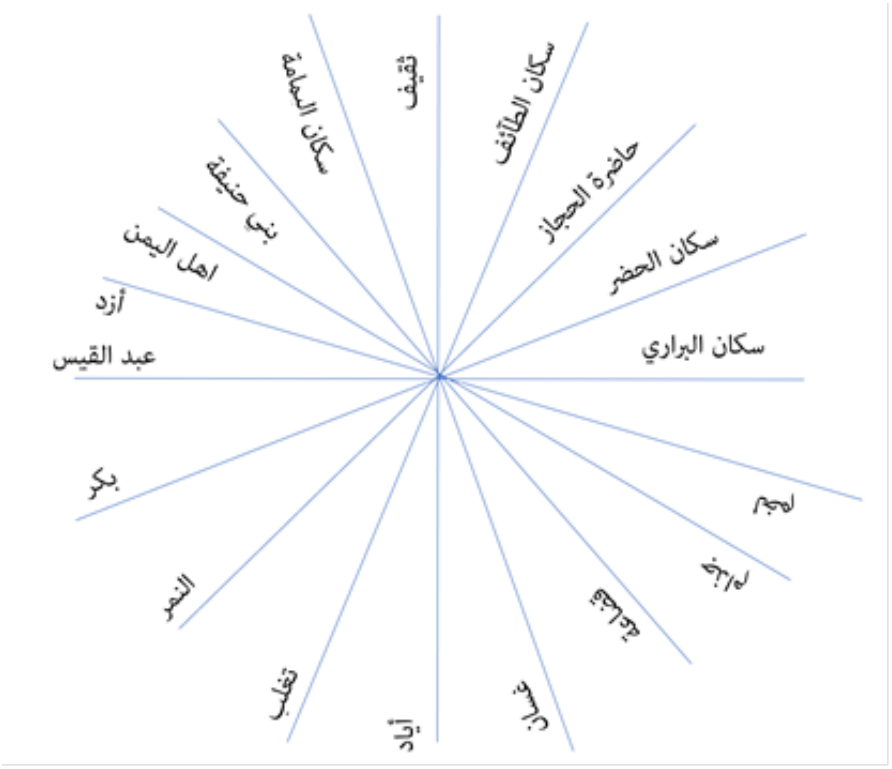

شكل (١) القبائل و المجاميع غير مقبولة في المشروع اللغوي من قبل العلماء

إن هـذا الرفـض القاطـع مـن لـدن المشـتغلين بالبحـث اللغـوي، والأخـذ اللغـوي مـن العلـماء، لا يـدل عـلى حالـة صحيـة للبحـث اللغـوي، بدعـاوى اختـلاط تلـك القبائـل بغيرهـا مـن الأمـم المجـاورة مـن الهنـد والفـرس والرومـان ، أو مخالطـة التجـار المقيمـين عنـد العـرب في قبائـل و مناطـق معينـة.

ثـــــم إن هناك شروطاً أخرى للانتقاء اللغوي، والأخذ للغة وهي :

" الأول: كلما قرُبت القبيلة من بيئة قريش، كانت أقرب إلى الفصاحة وإلى الأخذ بكلامها.

الثـاني: عـلى قَـدرِ توغـل القبيلـة في البـداوة تكـون فصاحتهـا " (المصـدر نفسـه:٢١)(١٤٦)، بمعنـى أن قريـــــش والبـداوة، هـما المعـولان الأساسـيان في الفصاحـة اللغويـة.

وإذا راجعنـا كتـاب الخصائـص، نجـد ابـن جنّـي ٣٩٢ هــ وضـع فصـلاً بعنـوان: " بـاب في تـرك الأخـذ مـن أهـل المـدر، كـما أخذ مـن أهـل الوبـر " (ابـن جنّـي، كتـــــاب: الخصائـص:ج٤٠٥/١)(١٤٧)، " وهـذا يعنـي أن العلمـاء أخـذوا يقسـمون اللغـة إلى لغـة حضريـة وأخـرى بدويـة، ويعتنـون بالثانيـة ويحتكمـون إلى أهلهـا"

(شـــاكر طوفـان العيسـاوي ،القيـاس اللغـوي وأهميتـه في تطويـر اللغة:٣٩)(١٤٨)وعنـد باحـث آخـر:" وأمـا أحـوال هـؤلاء العـرب المحتـج بهـم، فخَيْرُهُـمْ مـا كان أعمـق في التبـدي، وأَلصـق بعيشـة البادية"(السـيوطي، الإقـتراح:٨٤)(١٤٩)

وإذا اتجهنـا صـوب البصريـين، فإننـا نجـد منهـم تباهيـاً كبـيراً عـلى أصـحاب المدرسـة الكوفيـة، بأنهـم أي: البصريـون أخـذوا اللغـة مـن أُنـاس يتميـزون بخصائـص ممتـــــازة، بحيـث أنهـم يسـتحقون أخـذ اللغـة عنهـم بقولهـم كـما يـروى عنهـم قولهـم: "إنمـا أخذنـا اللغـة عـن حرشـة الضبـاب، وأكلـة اليرابيـع"، أمـا الكوفيـون، فإنهـــم أخـذوا اللغـــة عن أُنـاس خصائصهم ليسـت بالمسـتوى المطلـوب، فيقولـون عنهـم بقولهـم أن: " هـؤلاء أخـذوا اللغـة عـن أهـل السـواد، أصحـاب الكواميـخ، وأكلـة الشـواريز،

أو كلام يشبه هذا " (المصدر نفسه:٨٤)(١٥٠)

وجاء في (الإنصاف) للأنباري:" والكوفيون يعتدّون بما ورد من الكلمات الشاذة، ويعملون بالقياس عليها، والبصريون يمنعون من القياس على الشاذ، ويذهبون في مثله إلى أن قائله نحا به نحواً خلاف ما يظهر منه، ويردونه إلى الأصل المعروف عندهم على طريق من التأويل" (أبوالبركات الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف: ج١/١٤١)(١٥١)

لقد بلغ العلماء، وخاصة البصريون إلى درجة كبيرة من الغلوُّ في أخذ اللغة، وجعل الكمية اللغوية المأخوذة من مصادر محددة، تتمثل في القبائل المعينة التي هي المعوَّل عليها في رسم حدود الخارطة اللغوية للعربية، و وضع القواعد النهائية لهذه اللغة، ومن ثَمَّ فرضها على الناس التَّكلُّم بها، فيقول الدكتور صبحي الصالح: " وكان من أثر غلوهم هذا في سلائق الأعراب الذين طُبعوا عليها، أن ضيَّقوا على أنفسهم المنافذ والمسالك في أخذ اللغة وتلقيها، إلا ممن تتوافر فيهم شروط هذا الطبع السليقي، فانحصر الأخذ و التلقي" (دراسات في فقه اللغة:٢٨)(١٥٢) في القبائل التي ذكرناها قبلُ، والتي جاء ذكرها في (الإقتراح) للسيوطي وغيره .

إن هذا الاعتماد الكلي على قريش وغيرها من القبائل القلائل المعيَّنة، والمحددة المذكورة أسماؤها في المصادر والمراجع المختلفة، ونبذ القبائل الأخرى التي وهي الأكثرية، يقول بهذا الصدد الدكتور صبحي الصالح عن عمل هؤلاء بأنهم: " هنا وقعوا على الخطأ المنهجي الأول: إذ جعلوا سنن العرب في كلامها ما سنَّتْهُ قريش، أو تمثَّلته، وأخضعوا مقاييسهم لما سمعوه من ألفاظها وتراكيبها، ثم فرضوا على أنفسهم، وعلى الناس هاتيك المقاييس، فقال قائلهم:{ وعلم مقاييس كلام العرب هو النحو } (المصدر نفسه:٢٨)(١٥٣)كما جاء في الإقتراح.(السيوطي،الإقتراح:٩)(١٥٤) ويعقِّب د. صبحي الصالح على كلامه الآنف الذكر، بتوضيح جيد لموقع قبيلة قريش من المشروع اللغوي، في: "أن لهجة قريش التي جعلتها العوامل السياسية والدينية والاجتماعية والاقتصادية اللغة العربية الفصحى المقصودة عند الإطلاق، لم تكن في جميع الحالات أقوى قياساً من لهجة تميم، بل كثيراً ما تفوقها في بعض ذلك تميم، ولكنها ــ أي: القرشية ــ باعتراف من جميع القبائل، وبطواعية واختيار من مختلف لهجاتها كانت أغزرها مادة، وأرقها أسلوباً، وأغناها ثروة، وأقدرها على التعبير الجميل الدقيق الأنيق في أفانين القول المختلفة ...،{ فقد ارتفعت قريش في الفصاحة عن عنعنة تميم، وكشكشة ربيعة، وكسكسة هوازن، وتضجُّع قيس، وعجرفية ضبَّة، وتلتلة بهراء}(د. صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة :

(٦٦-٦٧)(١٥٥)، وفي الخصائص". (ابن جنّي، الخصائص:٤١/١) (١٥٦)

فبسبب ذلك، فإنه " أُتيح للغة قريش أن تتبوَّأ المكانة الأولى بين اللهجات العربية الشمالية، فأصبحت هي المقصودة عند الإطلاق، وكان على اللغويين القدامى أن يعتنوا بها عناية خاصة، ويفضلوا نطقها، و رسمها، وإعرابها، و وضعها، واشتقاقها، فلم تحظ اللهجات الباقية منهم إلا بالقليل من أبحاثهم ...فقد أشبعها علماؤنا بحثاً " (د. صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة:٧٢)(١٥٧)

وهكذا وصفها (الفرَّاء ٢٠٧ هـ) كما جاء في: (المزهر)، وأكد صفاء لغة قريش، وأوضح أسرار ذلك الصفاء بقوله: "كانت العرب تحضر المواسم في كل عام، وتحج البيت في الجاهلية، وقريش يسمعون لغات العرب، فما استحسنوه من لغاتهم تكلموا به، فصاروا أفصح العرب، وخلت لغتهم من مستبشع اللغات ومستقبح الألفاظ " (السيوطي، المزهر:٢٢/١)(١٥٨)

إن العلماء كانوا يبحثون عن الصحة اللغوية، وعن فصاحة اللغة بعيداً عن كل الاعتبارات الأخرى التي تتعلق باللغة من حيث هي ككائن حيوي، وعن طبيعتها، ومن حيث علاقتها بالإنسان فرداً وجماعة وأمة ومنهجهم في

الأخـذ اللغـوي ليـس موحَّـداً، فقـد كانـوا بصريـين، وكوفيـين، وبغداديـين، وأندلسـيين، فمعاييرهـم تختلـف تمامـاً فيـما بينهـم. فالأمـر اللغـوي الـذي يكـون صحيحـاً عنـد هـؤلاء ليـس صحيحـاً تمامـاً عنـد هـؤلاء.

هكذا سارت الأمور منذ أربعة عشر قرناً إلى الآن، والضحية الأساسية إنما هي اللغة واللغة، ثم الأمة التي تستخدمها.

الخاتمة :

* اللغـــــــة عـماد الأمـة وعمودهـا الفقـري، بهـا تكـون ديمومـة الحيـاة للأمـة وعـدم ضياعهـا أو فقدانهـا عن مـسرح الحياة .. وحتـى إذا كان الفـرد مـن الأمـة يتغـرَّب عـن وطنـه وأبنائـه طوعـاً أو كرهـاً، فـإن اللغـة صاحَبَتْـهُ، و تكـون ملازمـةً لـه دومـاً، بهـا يتصـل بالدنيـا، ويعـبِّرُ بهـا مـا في قـرارة نفسـه، ويسـتمر في الحيـاة ....

ولذلك فإن اللغة هي كُلُّ الإنسان ... وجوده، وتواجده، وتفاعله مع الحياة، إذ إنه بدونها تكون المعادلة معكوسةً تماماً ...

* وحـين نقـدُمُ عـلى تقديـم خدمـــات للغـة التـي نتكلـم بهـا، فلابـد مـن معرفـة أن اللغـــة كائـن حـيٌّ لهـا أصـول وقواعـد فطريـة، مـن حيـث البنـاء والصـوت والتنسـيق الطبيعـي بـين ألفاظهـا، في إعطـــاء الصـورة الطبيعيـة المُثـلى للمعـاني والتعابـير الصحيحـة الجميلـة المقبولـة والمفهومـة ... فبنـاء عـلى ذلـك، يجـب التعامـل مـع اللغـــــة بطريقـة وصـورة طبيعية وفطريـــة كذلـك، دون فـرض الفرضيـات عليهـا، لأن ذلـك سيُشَـوِّهُ طبيعتهـا، وتتمـزق رباطاتهـــا وارتباطاتهـا في مـا بينهـا مـن العلاقـات الطبيعيـة الفطريـة بـين عناصرهـا وأوصالهـا ...

* الفصاحـة اللغويـة تعنـي جريـان الألفـاظ والكلـمات والجمـل مـن عـلى ألسـنة أصحـاب اللغـة، دون كـدر، وهـي مفهومـة لديهـم وتعطـي المعـاني اللغويـة الصحيحـة الكاملـة وليسـت هـي التبـدي العميـق، فالفصاحـة تكـون هـي هـي، حتـى إذا كانـت المفـردات ألفاظـاً دخيلـة دخلـت إلى ألسـنة العـرب- بحكـم الحاجـة والزمـن - وقبلتهـا الفطـرة اللغويـة العربيـة السـليمة، ومـن ثَـمَّ حوَّرتهـا إلى الـوزن العـربي، وجعلتهـا في قالبهـا العربـــي والـوزن العـربي، متلازمـاً الناحيـة الصوتيـة العربيـة، وقـد تنقـص مـن المفـردة حرفـاً أو تزيدهـا أخـرى، فتصيرهـا مفـردة شـقيقة للألفـــــاظ العربيـة الأصيلـة ... وخـير شـاهد هـو لغـة قريـش، فقـد أخـذت مـا أخـذت مـن ألفـــاظ العـرب وغـير العـرب، وقـد صـارت لغتهـا هـي هـي التـي أنـزل اللـه تعـالى بهـا كتابـه المبـارك إلى الدنيـا ... ولايجـوز للعربيـة التجـاوز عـن هـذه الحـال بـأي حـال مـن الأحـوال، لأن تلـك الألفـــاظ قـد مـلأت فراغـات لغويـة عربيـة، والعربيـة بحاجـة إليهـا، لأنهـا لاتجـد مـن مخزونهـا اللغـوي لفظـة تعوضهـا، وتمـلأ موقعهـا في الجملـة العربيـة تقريـراً وتحريـراً ....

شـاءت المشيئة الإلهية في وضع اللغات، بحيث أن اللغـات لاتتمتع بالإكتفاء الذاتي من الألفاظ والكلمات مطلقـاً، لأن اللغـــات تنتمـي إلى أجنـاس شـتَّى مـن البـشر، ثـم إن المَواطِـنَ متعـددة كـما هـي معلومـة، ولذلـك تتولـد كلـمات وألفـــاظ في هـذا الموطـن نتيجـة تفاعـل البـشر مـع الزمـن والموقـع، مـا لا تتولـد في موطـن أو مواطـن أخـرى، فتحتـاج لغـات المواطـن المتعـددة لهـذه الألفـاظ والكلـمات المتولـدة في هـذا الموطـن .. وهكـذا تتقـارض اللغـات فيمـا بينهـا مـن الألفـــاظ والكلـمات، فإنـه لـولا ذلـك لحدثـت فراغـات لغويـة شـتى لعدميـة ألفـاظ وكلـمات للغـة مـن اللغـات في مخزونهـا اللغـوي ....

وهكـذا نجـد مـن خـلال التـــــأريخ اللغـوي للغـات، أن اللغـات تُكمـل الواحـدة الأخـرى، حيـث تحـدث الفراغـات اللغويـة الحضاريـة، فلابـد مـن مِـلْءٍ لتلـك الفراغـات اللغويـة مـن لغـــــات أخـرى التـي أبـدع أصحابهـا في محـــطات حضاريـة مختلفـة، وسـابقت مثيلاتهـا مـن اللغـات الأخـرى في هـذا المضـمار.... فلـولا هـذا الإقـــدام سـتكون اللغـات ناقصـة الـدور في الإسـهام الحضـاري ...

* لا قُدسية للغة من اللغات مطلقاً، حتى إذا كانت هذه اللغة لغة قريش التي أنزل الله تعالى بها قرآنه المبارك ... فكل اللغات مقدسة حين ننسب إليها الوحي الإلهي، وذلك بدليل قوله تعالى:

[وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَّشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَّشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ] إبراهيم (٤)

و [إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ] فاطر (٢٤)

فكل الأمم عبر التأريخ البشري، أرسل الله إليهم وحيه المبارك من على لسان أحدهم، وهو الرسول، وبلسان قومه، إذن فكل لغة لها قدسيتها وقدْرها ...

ومن هنا، فقد وقع القدامى في خطأٍ كبير، حين اشترطوا لغة قريش مبدأً من مباديء الفصاحة، انطلاقاً من القداسة اللغوية لها، علماً أن القداسة القرآنية هي التي أضفت القداسة على هذه اللغة وليست اللغة نفسها، و رفضوا، بل ألغوا عشرات اللغات الأخرى العربية، بدعوى قرب أصحابها واختلاطهم بغيرهم من العجم والدخلاء ...!

* اللغة الحيَّة هي التي تحيا في حياة الناس، وفي واقع الناس، وهي ليست منعزلة عن المجتمع الإنساني برمته.. فالقدامى حين اشترطوا مبدأ: التبدي العميق لغرض الفصاحة اللغوية المثلى لصاحب اللغة ولغته، قد وقعوا في خطأ كبير، لأنهم قرروا الإعتماد على لغة منعزلة للعربية، بعيدة عن واقع الحياة العالمية، في الوقت الذي أنزل الله تعالى قرآنه العظيم باللغة المتفاعلة مع الحياة والعالم بأسره، وهو الذي يتعايش معه العرب .. فجاء قرآن بلغة العصر والواقع، بلغة كانت تتكلم بها قريش منذ أزمان، وهي لغة رحلتي الشتاء والصيف، أي لغة التعامل والتفاعل مع العالم الخارجي ناهيك عن العالم الداخلي وهو المجتمع العربي، وهي مليئة بألفاظ وكلمات من غير العربية، ولكنها صقَّلتها وحوَّرتها إلى نَظْمِهَا العربي، فصارت عربية شقائق للألفاظ العربية كاملة متكاملة ....

* الجمال اللغوي يظهر جليّاً، حين تكون لغات أطياف المجتمع كلها في معارض الكلام، وهي موظفة في التقعيد والتشريع اللغويين، كل ذلك، يدل على حيوية اللغة وطراوتها، وتنسيقها مع مفاصل الحياة المختلفة، ومن على ألسنة الناس بكل أطيافها وطبقاتها... وقد ينعدم، بل ينعدم واقعياً هذا الجمال، حين تُشَرَّع قوانين وقواعد اللغة للناس، على منوال لغة طيف من أطياف المجتمع، فهذا يدل على الإحتكار اللغوي بتحريم الأطياف الأخرى، ويعني ذلك انعدام الجمال اللغوي من العرض اللغوي التقعيدي والتقنيني ...

إن هؤلاء الذين رُفضت لغاتهم وأُهملت، لايزالون جزءاً من أطياف المجتمع العربي أحياء يرزقون، ولغاتهم جانب من التركيبة اللغوية العربية ... ولايزالون لا مواقع لهم في التشريع والتقعيد العربيين ...

* التأنُّف اللغوي في الأخذ اللغوي، عند البحث عن الفصاحة لدى علماء الرعيل الأول عند فجر التدوين والتقعيد اللغويين،هو الذي دفع بهم إلى أن يُهملوا قبائل عربية كثيرة في الأخذ اللغوي منهم ..وأن هذا التأنَف اللغوي جاء - جانب منهم - من اعتبار قداسة لغة قريش التي أصبحت لغة القرآن الكريم - وهو الواقع أنه نزل بلغة قريش – من منطلق أن لغات تلك القبائل التي دخلت مفردات كثيرة من لغات غير عربية إليها، بحكم زمن الإختلاط الحضاري والتجاري والجوار، جعلت لغات تلك القبائل غير صافية ولا نظيفة لغوياً، وبعيدة عن الفصاحة ــ بزعمهم ــ ، هذا من جانب، ومن جانب آخر، أن تلك اللغات تعود إلى أقوام مشركين، فتكون لغاتهم لغات شرك وكفر، فكل ذلك تجعل العربية لغةً يدُبُّ فيها الفساد اللغوي والعقدي، فتمحق البركة من العربية..! علماً أن لغة قريش كانت لغة قوم مشركين كذلك، ولكن الله عزوجل شرَّفها وأنزل بها قرآنه المبارك ، وفيها من الكلمات والألفاظ غير العربية الكثير... وهذا ما أبطل كثيراً من مزاعمهم بهذا الصدد، فقد وقعوا في الخطأ الكبير.

المصادر والمراجع

-القرآن الكريم

١- ابن جِنّي، الخصائص، دار الشؤن الثقافية، بغداد، ط٤ مزيدة منقحة، تح: محمد علي النجار.

٢- الأنباري، أبو البركات الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف،ط٤،مط:السعادة، القاهرة،١٤١٨هـ-١٩٦١م.

٣- الأنصاري،د.أحمد مكي الأنصاري،سيبويه والقراءات:دراسة تحليلية معيارية، دارالمعارف بمصر١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.

٤- أنيس، د.إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو مصرية،ط٣،القاهرة، نوفمبر ١٩٦٥.

٥- أنيس، د.إبراهيم أنيس، اللغة بين القومية والعالمية، دار المعارف بمصر.

٦- الجواليقي،أبو منصور الجواليقي،موهوب بن أحمدبن محمدبن خضر٤٦٥هـ-٥٤٠ هـالناشر:دارالقلم،دمشق،١٤١٠هـ-١٩٩٠م .

٧- حسَّان، د. تمام حسان، العربية معناها ومبناها ، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٧٣.

٨- الخولي،أمين الخولي،محاضرات عن مشكلات حياتنا اللغوية،معهد الدراسات العربية العالمية،جامعة الدول العربية١٩٨٠ .

٩- السيوطي، الإقتراح، تحقيق وتعليق الدكتور أحمد محمد قاسم .

١٠-الراجحي،د.عبده الراجحي،النحو العربي والدرس الحديث،دارالنهضة العربية للطباعة والنشر،١٤٠٦هـ-١٩٧٢م.

١١- الرازي ، أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخرالدين الرازي ، خطيب الري ، المتوفى : ٦٠٦هـ ،التفسير الكبير: مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي،بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ

١٢- الزبيدي، الإمام زين الدين أحمد بن عبداللطيف الزبيدي (مختصر صحيح البخاري) (المسمى التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح) دار الكتاب العربي/ بيروت١٤٢٦ هـ- ٢٠٠٦م.١٢

١٣- السامرائي، د. إبراهيم السامرائي، فقه اللغة المقارن، دار العلم للملاين، ط٤،١٩٧٨ حزيران (يونيو).

١٤- السيوطي،السيوطي، المُزْهر في علوم اللغة، تح: جاد المولى وأبي الفضل والبجاوي، القاهرة، ١٩٥٨ ، مط: عيسى الحلبي وشركاؤه.

١٥-السيوطي ٩١١هـ المهذَّب فيما وقع في القرآن من المعرَّب، تح: الدكتور التهامي الراجي الهاشمي، الناشر، مط: فضالة، بإشراف صندوق إحياءالتراث الإسلامي المشترك بي المملكة المغربية، ودولة الإمارات العربية المتحدة.

١٦- صبحي، د. صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، ط٩، بيروت، تموز١٩٨١.

١٧- الضامن، د. حاتم صالح الضامن، فقه اللغة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد.

١٨- العيساوي، الأستاذ شاكر طوفان، القياس اللغوي وأهميته في تطوير اللغة، مجلة اللسان العربي، المجلد١٤، ج١، ١٣٩٠هـ- ١٩٧٦م.

١٩- فندريس،اللغة،تعريب:عبدالحميدالدواخلي،ومحمدالقصاص،الناشر:مكتبةالأنجلومصرية مط:لجنة البيان العربي.

٢٠- ماريو، ماريو باي، لغات البشر، ترجمة: صلاح العربي، قسم النشر بالجامعة الأمريكية، القاهرة.

٢١- مراد، د. مراد كامل، دلالة الألفاظ العربية وتطورها، ١٩٦٣.

٢٢- المغربي، عبدالقادر بن مصطفى المغربي، الإشتقاق والتعريب مط: الهلال بالفجالة بمصر، سنة: ١٩٨٠.

٢٣- وافي، د. علي عبدالواحد وافي، اللغة والجتمع، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٦٥هـ- ١٩٤٦م .

دەربارەی سرووشتیی زمان و ئەرکەکانی و، بەرنامەی زانایانی پێشیینی عەرەب، لە خەریکبوونیانەوە بە زمانی عەرەبییەوە

پوختە

کە قورئان نازڵبوو، ئیتر زانا عەرەبەکان، بۆ پەیاکردنی وشەی عەرەبیی (رەوان) کەوتنە هەڵپەی کۆکردنەوە و، تەتەڵە و گێژی زمانی عەربیی و شەن و کەوکردنی. بۆ ئەم مەبەستە دوو بنەمایان دانا، کە ئەوانیش: نزیکیی شێوەزارەکان لە شێوەزاری هۆزی قورەیش و، ئینجا قوڵچوون لە بیابانیی نشینییدا. چونکو تا عەرەبێک لە بیابان دا بژیی، زمانەکەی پاک و رەوانە و، تێکەڵیی نییە لەگەڵ هیچ زمانێکی بیانیی دا. ئینجا شێوەزاری قورەیشیش پاک و رەوانە و، ئەوەتا قورئانی پیرۆزی پێ نازڵبووە و، هەموو عەرەبیش لێی حاڵیی ئەبن. بۆیە هەرچیی ئەو هۆز و تایەفانەی عەرەب کە نزیکییان لە قورەیشەوە هەبوو، بەهەند وەریانگرتن کە ئەمانە بوون: (قورەیش، قەیس، تەمیم، ئەسەد، هوزیل، بعض کنانة و، بعض الطائیین) و ئەو هۆز و تایەفانەش کە ئەو مەرجانەیان تیانەبوو، لایان نا، کە ئەوانەیش: (لەخم، خوزام، قوضاعە، غەسسان، ئەیاد، تەغلب، نەمر، بەکر، عەبدولقەیس، ئەزدعومان، ئەهلی یەمەن، بەنی حەنیفە، سوککان یەمامە، ثەقیف، سوککان طائف، حاضرەی حیجاز،) کە هەژدە تییرە و تایەفە بوون. زانا عەرەبەکان کەوتنە هەڵەی گەورەوە، بەوەی کە ئەو زمان بژێرییەیان پەیڕەوکرد، تا لە هەرچیی وشەیەک کە نا عەرەبیی بێت، زمانی عەرەبیی لێبپارێزن و پاکیبکەنەوە، لە کاتێک دا بێ ئاگابوون، کە قورئانی پیرۆز کە بە شێوەزاری قورەیش نازڵبووە، مالان ماڵە لە وشەی ناعەرەبیی و، بە حوکمی رۆژگار، تازە ئەو وشانە بوو-ون بە عەرەبیی و، هاتوونەتە ناو فەرهەنگی عەرەبییەوە و، بژارکردنیان هەرگیزاو هەرگیز نییە. بۆیە نە ئەبوو زمان و شێوەزاری ئەو هەژدە هۆز و تایەفەیە لە پرۆژەی داڕشتنی زمان و رێزمانی عەرەبیی بدەنە لاوە، چونکو ئەوانیش عەرەبیی ساغ و بێ غەل و غەشن. جا کە تەماشا ئەکەین، پاش چەند سەدەیەک لە نازڵبوونی قورئان و، ئەو بەرنامەیەی کە زانا عەرەبەکان دایانڕشت، زانایانی عەرەبیی پێگەیشتوو هاتنە ئاراوە و، فەرهەنگ و کتێبی تایبەتیان دانا، دەربارەی بوونی سەدان وشەی ناعەرەبیی لە قورئانی پیرۆزدا، وەکو زانای گەورە: جەوالیقیی ٤٦٥هـ -٥٤٠هـ کە فەرهەنگێکی تایبەت ی دانا بە ناونیشانی: (المعرب من الکلام الاعجمی علی حروف المعجم) و زانای دیار ئیمامی سیوطی٩١١هـ کتێبی (المهذب فیما وقع فی القرآن من المعرب) دانا و، زۆر زانای تریش، کە باس لە هەموو ئەو وشە ناعەرەبییانە ئەکەن کە لە قورئان دا هاتووە. ئینجا هەر ئەمە نا، بەڵکو زانا عەرەبەکان، کەوتوونەتە هەڵەیەکی تریشەوە، کە هیچ لایەکیان نەکردۆتەوە بە لای زۆر رووی تری زمانەوە و، زانستییانە لێی بدوێن و، لە داڕشتنی زمان و رێزمانی عەرەبیی دا جێی بکەنەوە و، تۆێژییەوەکانیانی پێ دەوڵەمەندکەن، وەکو: لێدوان لە سروشتی زمان، مامەڵەکردن لەگەڵ زمان دا، وەک بوونەوەرێکی زیندوو و سەربەخۆ، ڕەچاوکردنی سروشتی زمان لە داڕشتنی رێزمانی گونجاوی پڕاوپڕ لەگەڵیا، قۆناغەکانی گۆڕانکاریی لە زمان دا بەپێی رۆژگار، بەپێی جیاوازیی چییەکانی کۆمەڵگە، کە هەر چینێک زمان (زار) ی تایبەتی خۆی هەیە و، هیچیشیان لە بازنەی زمانی عەرەبیی ناچنە دەرەوە، زمانی شارنشیین، گوندنشیین، بیابان نشیین، زمانی پیاوان و زمانی ژنان و، زمانی منالان. ژێ یەکانی دەنگ بە پێی تەمەن و، جێ و رێی ژیان ئەگۆڕێ و زۆر رووی تری تۆێژینەوەی زانستیی. بۆیە دروستە، ئەم زمانە، بۆ داڕشتنەوەیەکی نوێ، بە هاوبەشییێکردنی تەواوی شێوەزار و زمانەکانی کۆمەڵگەی عەرەبیی هەنگاو هەڵبگرێ، چونکو ئێستا کە بۆشاییەکی زمانیی لە زمانی عەرەبیی دا هەیە، بە نەبوونی شێوەزاری ئەو تییر و تایەفانەی عەرەب کە پشتگوێخراون لە لایەن زانایانی پێشیینی عەرەبەوە،

جـا بـۆ ئـەوەی رۆح و گیانێکـی تـازە بکرێتـەوە بـە بـەر عەرەبیـی دا و، لەگـەڵ نوێبوونـەوەی رۆژ و رۆژگاردا، ئەویـش بـە نوێـی بێتـە ئـاراوە و، بێتـە کایـەوە، تامێکـی تـر، چێژێکـی تـر، ئاهێکـی تازەتـر ببەخشـێ. پێویسـتە زمانـی عەرەبیـی جارێکـی تـر دابڕێژرێتـەوە.

کلیلە وشەکان: زمانی عەرەب، زمانی قورەیش، زمانڕەوانیی، بۆشایی زمانەوانیی، واژە ئەعجمییەکان

In the nature and function of language

Ind the approach of the old Arab in their treatments for it

Abstract

Arabic is the language of a nation of this land, it is the language of the Arabs, it performs the functions of the language of its nation from its inception, and became the language of the worlds of faith and belief, and it was tasked with performing the best Islamic performance of faith and sharia. For this reason, at the dawn of linguistic legislation and legalization, the ancient linguists began to collect and sift Arabic, to obtain the clearest and most elegant languages, and required two conditions for linguistic eloquence: deep perfusion and proximity to the Quraysh tribe, to avoid any word that smelled of the clump and the intruder. They accepted the languages of Quraysh, Qais, Tamim and Assad, Hatheel, some Kanana and some Ta'is, and left the languages of eighteen tribes and destinations with flimsy arguments: such as their proximity to the Romans, Persians, India, Nabataeans, etc., and they are Lakhm, Khuzam, Qathae, Ghassan, Ayad and Taghlub, Al-Namir, Bakir, Abdul Qais, Azd Omman, The People of Yemen, Bani Hanifa, Residents of Yamama, Thqif, Taif residents, and the capital of Hijaz. By leaving the languages of these authentic Arab tribes, they did not realize, forget, or been forget, that there are dozens and dozens of non-Arabic words in the Qur'an, and scholars have written books such as Al-Suyuti, The Jawaliqi and others. Quraysh's language even contains dozens of non-Arabic words. This research, therefore, includes that a new reading must be, and that new legalization of Arabic must be built, including all Arab languages, to fill that linguistic void that has occurred, and the Arab and Arab nation does not lose itself, from its rich linguistic stock throughout time and the place.

Keywords: Arabic, Quraish, linguistic eloquence, linguistic void, Ajam language